البابا شنوده الثالث

تأملات في مزامير باكر

البابا شنوده الثالث

تأملات في مزامير باكر

Contemplation of Some Psalms of Morning Prayer

By H. H. Pope Shenouda III

4th Print
September 2002
Cairo

الطبعة الرابعة
سبتمبر ٢٠٠٢
القاهرة



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

مقدمة الكتاب

المزامير هى كنز للتأملات الروحية .

لذلك تستخدمها الكنيسة فى صلواتها لايومية ، سواء الصلاة الخاصة للأفراد ، أو صلوات المؤمنين داخل الكنيسة ، أو الصلوات الطقسية : فى عشية وباكر والقداس الإلهى .

وقد نشرنا لكم من قبل بعض التأملات فى المزامير :

منها تأملات فى مزامير الغروب . وتأملات فى المزمور الثالث (يارب لماذا)، وفى المزمور السادس (يارب لا تبكتنى بغضبك) ، وفى المزمور العشرين (يستجيب لك الرب فى يوم شدتك) . وفى المزمور الخمسين (أرحمنى يا الله) كعظيم رحمتك) .

وفى هذا الكتاب نقدم لك تأملات فى أربعة مزامير :

وهى : المزمور الأول : طوبى للرجل .

مزمور ١١٢ (١١٣) : سبحوا الرب أيها الفتيان .

مزمور ٦٢ (٦٣) : يا الله أنت إلهى إليك أبكر .

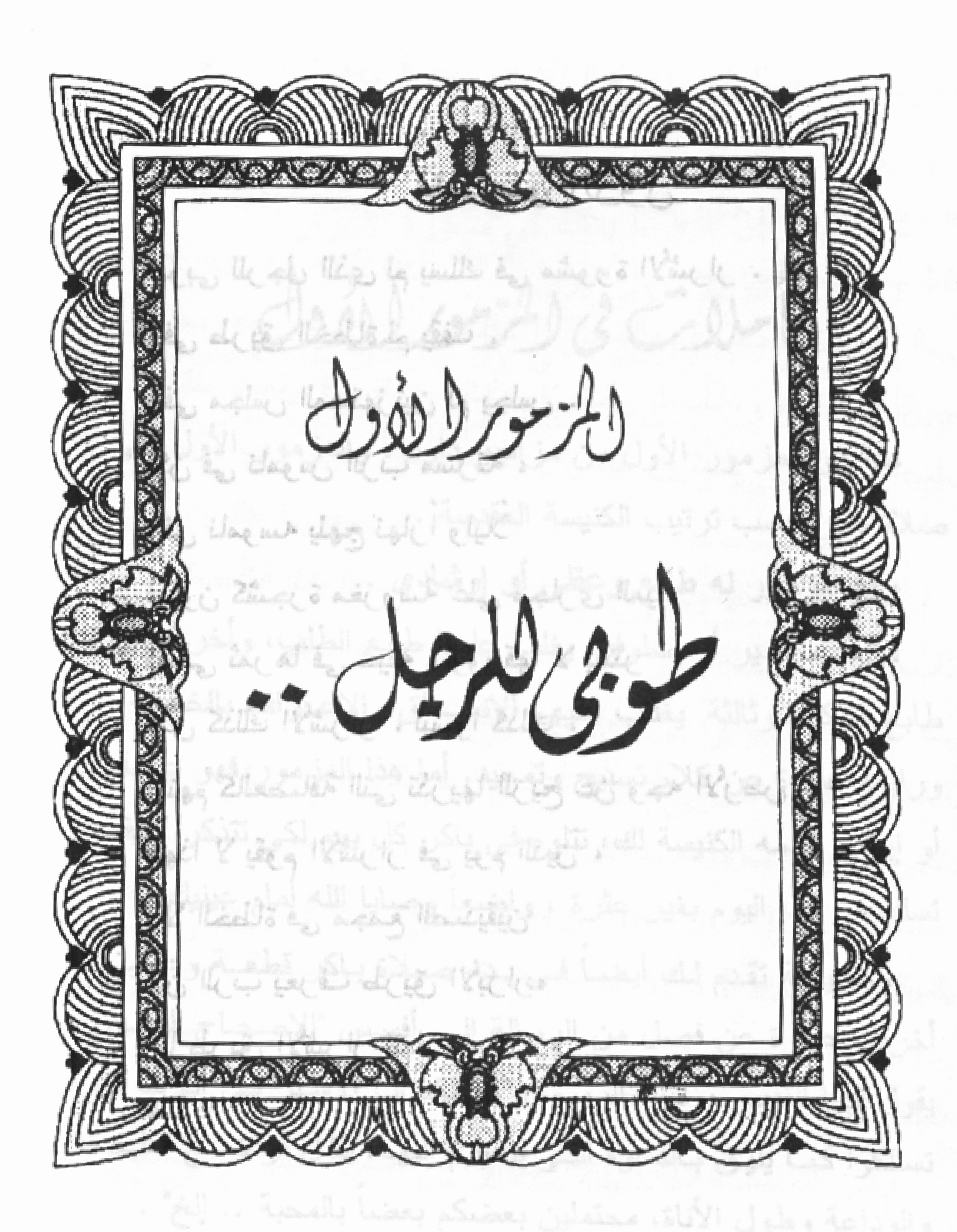
مزمور ١٢ (١٢) : إلى متى يارب تنسانى ؟

نرجو أن تكون هذه التأملات عاملاً مساعداً لك .

مجرد أن تفتح أمامك باباً ، تنطلق منه روحك فى مجال تأملاها كما تشاء .

وإلى اللقاء فى مجموعة أخرى من المزامير ، نتأمل فيها معاً .
وليعطنا الرب نعمة للتأمل ، حسب عمل روحه فينا .

اغسطس ١٩٩٥ شنوده الثالث


المزمور الأول
طوبى للرجل ..

المزمور الأول

طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار .

وفى طريق الخطاة لم يقف .

وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .

لكن فى ناموس الرب مسرته ،

وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً

فيكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه

تعطى ثمرها فى حينه ، وورقها لا ينتثر

ليس كذلك الأشرار ، ليسوا كذلك .

لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح عن وجه الأرض .

فلهذا لا يقوم الأشرار فى يوم الدين ،

ولا الخطاة فى مجمع الصديقين

لأن الرب يعرف طريق الأبرار ،

أما طريق الأشرار فتباد .

هللويا

تأملات فى المزمور الأول

هذا هو المزمور الأول من مزامير داود ، والمزمور الأول فى صلاة باكر حسب ترتيب الكنيسة المقدسة .

وهو مزمور له طابع وعظى أو إرشادى .

فهناك مزامير أو صلوات يغلب عليها طابع الطلب، وأخرى لها طابع الشكر، وثالثة يغلب عليها الإنسحاق والإعتراف بالخطية ، ورابعة عبارة عن كلام تسبيح وتمجيد. أما هذا المزمور فهو عظة، أو إرشاد تقدمه الكنيسة لك، تتلوه فى باكر كل يوم لكى تتذكر كيف تسلك فى هذا اليوم بغير عثرة ، واضعاً وصايا الله أمام عينيك .

والكنيسة تقدم لك أيضاً فى بدء صلاة باكر قطعة وعظية أخرى، عبارة عن فصل من الرسالة إلى أفسس "الإصحاح الرابع" يقول فيها القديس بولس الرسول "أسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم إليها، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة .. إلخ" .

هذا الفصل من أفسس ، وهذا المزمور ، إرشاد لازم فى بدء اليوم .

يشابههما مزمور آخر من مزامير باكر، له نفس الطابع، هو المزمور ١٤ حيث يقول فيه المصلى "يارب من يسكن فى مسكنك، أو من يحل فى جبل قدسك: إلا السالك بلا عيب، الفاعل البر، المتكلم بالحق فى قلبه ، الذى لا يغش بلسانه، ولا يصنع بقريبه سوءاً.. إلخ" . إنه أيضاً مزمور وعظ وإرشاد ، يوحى للمصلى كيف يسلك فى يومه ليرضى الرب .

المسألة إذن ليست مجرد صلاة ، إنما هى أيضاً سلوك .

وعبارة سلوك تكررت فى كل هذه الأمثلة الثلاثة فى صلاة باكر: فكما وردت فى هذا المزمور (مز١: ١)، وردت أيضاً فى مزمور (١٤: ٢) وكذلك فى (أف٤: ١). لأنه قد علمنا الرب قائلاً "ليس كل من يقول لى يارب يارب، يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات" (مت٧: ٢١) .

وهذا المزمور يعلمنا كيف نفعل إرادة الآب ، لكى يقبل صلاتنا.

ولكى لا يوبخنا بقوله "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مت١٥: ٨) (أش٢٩: ١٣) .

فما هى النصائح التى يقدمها لنا المرتل فى هذا المزمور ؟ أنه يبدأ بقوله : طوبى :

"طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار " .

ويمكن أن تترجم "طوبى للإنسان .. " .

وحسن أن تبدأ أول كلمة فى أول المزامير بعبارة الطوبى . وهكذا بدأ ربنا يسوع المسيح عظته على الجبل بعبارة طوبى أيضاً. إنها بشارة مفرحة ..

كلمة (طوبى)

ما معنى كلمة "طوبى" ؟

إنها تعنى أمرين هما السعادة والبركة .

لذلك فأنا لا أستريح مطلقاً لمن يترجم كلمة "طوبى" فى العظة على الجبل بكلمة "سعداء" ، فيقول: سعداء هم المساكين بالروح.. سعداء هم الودعاء.. لأن هنا تركيز على السعادة فقط، واغفال للبركة ، بينما لا توجد سعادة بدون بركة . وكلمة مطوب Makarios تعنى البركة والسعادة معاً. وفى أهم الترجمات الإنجليزية للكتاب تترجم بكلمة Blessed "مبارك" أو Happy "سعيد".

وفى الترجمة السبعينية بدأ المزمور الأول بكلمة Blessed

"مبارك" ويبدأ كذلك فى ترجمة :

King James Version وفى Revised Standard version وفى New International version .

وكذلك فى الترجمة الأمريكية N.A.S. .

الكل يجمعون على كلمة Blessed لأن البركة تحمل داخلها السعادة، وتكون أقرب إلى المعنى. على أنى لست أرى عبارة البركة كافية، فكلمة Makarios تحمل البركة والسعادة معاً، فيمكن أن تترجم بعبارة "مطوب" أو "مغبوط" ولذلك حسناً أن التطوبيات ترجمت بكلمة Beatitudes كما فى ترجمة كتاب القديس اغريغوريوس اسقف نيصص عن التطوبيات . وكلمة طوبى كلمة عربية، فلماذا لا نستخدمها فى ترجماتنا ؟!

وما أجمل أن يرشدنا الوحى فى أول المزامير إلى طريق السعادة والبركة .

فهذا هو الطريق الذى يريده لنا، من أول سفر التكوين، حيث وضع الله آدم وحواء فى جنة فيها كل أنواع الراحة . وفى نفس الوقت "باركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا وأملأوا الأرض واخضعوها.." (تك١: ٢٨) . وهكذا كان الإنسان الأول أول من تمتع بالطوبى "السعادة والبركة" ، وإن كان لم يثبت فيها .

وأبونا نوح وأولاده، أراد لهم الرب السعادة إذ خلصهم من الطوفان. وأيضاً "بارك الله نوحاً وبنيه.." (تك٩: ١) . فنالوا نفس بركة آدم وحواء، وإن كانوا أيضاً لم يثبتوا فيها، إذ أخطأ أولاد نوح.. ولعن كنعان (تك٩: ٢٥) . ففقد هذه الطوبى .

ومعلمنا داود النبى يبدأ بعض مزاميره بالطوبى والطرق الموصلة إليها .

فيقول "طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية" (مز٣٢: ١، ٢) . ويقول أيضاً "طوبى لمن يتعطف على المسكين. فى يوم الشر ينجيه الرب" (مز٤١: ١) . ويقول كذلك "طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق" (مز١١٩: ١) .

وتوجد الطوبى فى كثير من مزاميره . فيقول "طوبى للرجل الذى جعل الرب متكله" (مز٤٠: ٤) . كما يقول "طوبى لكل السكان فى بيتك، يباركونك إلى الأبد طوبى لأناس عزهم بك" (مز٨٤: ٤، ٥) أو "طوبى للرجل الذى نصرته من عندك" كما فى ترجمة أخرى ولكن ماذا يقول المرتل عن الطوبى فى المزمور الأول؟ .

هنا يضع لنا الوحى على لسانه ، أساساً روحياً للطوبى .

فمن هو هذا المغبوط صاحب الطوبى ؟ يجيب معلمنا داود ويقول:

نصيحة للسلوك

"طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . وفى طريق الخطاة لم يقف. وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" ..

وهنا يراعى التدرج فى التصرف ، وفى نوعية الصحبة الشريرة .

فالذى يلجأ إلى مشورة الأشرار ، ويطيعها ويسلك فيها، سيتدرج أن يقف فى طريقهم ، أى يسايرهم ويعرف سبلهم . فإن فعل هذا سيأتى عليه الوقت الذى يجلس فى مجالسهم . والجلوس يعنى الاستقرار، وهو أصعب من الوقوف فى الطريق . وهذا الوقوف أصعب من مجرد سماع المشورة .

كما أن الأشرار والخطاة ، أقل من المستهزئين ، الذين يهزأون بالسيرة المقدسة وبكلام الله . ويتهكمون على الناس الفضلاء ، ويحيون حياة اللامبالاة. ويجذبون غيرهم إلى أسلوبهم. لذلك تسميهم بعض الترجمات الوبأيين ، أى الذين هم مثل الوبأ ، المرض المنتشر ، كل من يختلط به يصاب بالعدوى .

فالكنيسة هنا تنصح أولادها بالبعد عن العثرات ...

تقدم لهم هذه النصيحة فى كل صباح، حتى يحترسوا، لأن

"المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥: ٣٣) .

فتنصحهم بأنهم إن كانوا قد خطوا خطوة، فلا يتدرجون إلى غيرها: فمن سمع مشورة خاطئة، لا يسلك فيها. وإن سلك يقيم لنفسه حدوداً، فلا يقف مع الخطاة فى طريق واحد. وإن فعل ذلك، فلا يجلس فى مجالسهم ، ولا يختلط بالمستهزئين ..

يبعد عن الخطوة الأولى ، فهذا افضل . وهذه الخطوة هى :

مشورة المنافقين

تخير أصدقاءك جيداً ، ولا تختلط بفكر غريب، ولا بنصيحة بطالة أو مشورة خاطئة . وكل توجيه تسمعه من أى إنسان كان، ضعه فى ميزان وصية الله الصالحة، هذا إن كان فى ناموس الرب مسرتك ...

لا تسلك إذن فى مشورة الأشرار، مهما كانت تبدو نافعة .

فمن هم هؤلاء الأشرار الذين ترفض مشورتهم ؟

قد يكون الأشرار هم الشياطين ، الذين سبق لنا فى المعمودية أن جحدنا كل حيلهم الرديئة والمضلة . ولكنهم لا ييأسون من تقديم الفكر تلو الفكر . ومعلمنا بولس الرسول يقول عن الشيطان "لأننا لا نجهل افكاره" (٢كو٢: ١١) .

وقد يكون الأشرار هم الناس الأشرار بكل أفكارهم الخاطئة .

وقد ينطبق هذا المزمور على أناس أبرار أو قديسين ، ولكنهم قدموا مشورة خاطئة ، كما حدث مع القديسة رفقة حينما قدمت لإبنها يعقوب فكراً خاطئاً خدع به أباه اسحق ليسرق منه بركة أخيه. وكان أبونا يعقوب يعرف أن مشورة أمه هى شر قد ينال عليه لعنة لا بركة . ولكنها طمأنته بقولها "لعنتك على يا ابنى" (تك٢٧: ١٢، ١٣) . وسلك يعقوب فى مشورة أمه . وكانت سقطة له .

ومثال رفقة فى مشورتها ، سلك القديس بطرس مع السيد المسيح .

وذلك حينما أراد أن يبعده عن الصليب، مستكثراً ذلك عليه، بقوله "حاشاك يارب لا يكون لك هذا" . فسمع انتهار الرب له قائلاً له "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى" (مت١٦: ٢٢، ٢٣) . كانت مشورة من الشيطان، نطق بها القديس بطرس الرسول !

لذلك نحن لا نوافق على الطاعة العمياء .

فالطاعة ينبغى أن تكون حكيمة وبصيرة . وكما قال الرسول عن طاعة الوالدين "أطيعوا والديكم **فى الرب** . لأن هذا حق" (أف٦: ١) . أما خارج الرب، فلا توجد طاعة ، لأنه "ينبغى أن

يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩) .

المشورة الخاطئة قد تكون من الشيطان ، أو من الناس أياً كانوا، أو من داخل الإنسان ذاته ، من أفكاره أو رغباته الشريرة .

وأول سقطة للإنسان ، كانت من سلوكه فى مشورة الأشرار .

جاءت الحية "الشيطان" . وقدمت مشورة شريرة لأمنا حواء، فسلكت فيها وسقطت. وحواء قدمت نفس المشورة لأبينا آدم. وسلك كلاهما فى مشورة الأشرار . وأكلا من الشجرة المحرمة ، وطردهما الله من الفردوس .

☩ ☩ ☩

لا تقل أنا أستطيع أن أحفظ نفسى مهما اختلطت بالأشرار !!

فسليمان الحكيم نفسه ، بعد خلطة خاطئة عن طريق زواجه بالغريبات ، لم تكن طريقه مستقيمة أمام الله، وأخطأ (١مل١١) ، واستحق العقوبة من الله... وأنت لست أحكم من سليمان .. وإن لم تخطئ اليوم، قد تخطئ غداً أو بعد غد.. وعلى الأقل ، من الناحية الإيجابية لا تنمو ولا تستفيد .

المزمور يقول لم يسلك ، ولم يقل لم يسمع ...

فأنت لا تضمن عدم السماع ، ما أكثر الذين يعرضون عليك مقترحات وأفكاراً ومشورات . لكن المهم أنك سمعتها ، لا تسلك

فيها. بل يكون لك الإفراز الذى تميز به المشورة الخاطئة، والإرادة الصالحة التى تمنعك من التنفيذ . إن الشيطان عرض على السيد المسيح ثلاثة أفكار ومقترحات . ولكن السيد رد عليها ، وانتهر الشيطان أخيراً (مت٤) .

لا تسلك فى المشورة الخاطئة ، ولا تقف فى طريق الخطاة .

أى إن عبرت على هذا الطريق ، فاسرع باجتيازه ولا تقف فيه...

إنه طريق خاطئ ، وقوفك فيه يعثرك ، وقد يعثر غيرك . مثال ذلك إن عرضت عليك الشياطين فكرة، فلا تقف معها ، بل اسرع بتركها ولا تتأمل تلك الفكرة ، لأن تذكار الشر يلبس الموت .

أنت سائر فى طريق الحياة وسترى أمامك طرق الخطاة ، فلا تقف فيها، حتى إن حاولوا إقناعك بمشورتهم أنها نافعة. فالكتاب يقول "توجد طرق تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم١٤: ١٢) (أم١٦: ٢٥) .

وفى مجلس المستهزئين لا تجلس

فهؤلاء المستهزئين لهم طبيعة الإستهتار بكل القيم، واللامبالاة ، جلستهم لا تمجد الله ، وقد تطول . وقد تغير أفكارك ، وقد تتعود

أسلوبهم . وتصير كواحد منهم. وتكون قد تدرجت من سماع المشورة، إلى السلوك فيها إلى الوقوف فى الطريق، إلى الجلوس مع المستهزئين .

لقد تدرج لوط ، حتى جلس فى مجالس سادوم .

" وكان البار بالنظر والسمع - وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة" (٢بط٢: ٧، ٨) . بل قال عنه القديس بطرس الرسول أنه كان "مغلوباً من سيرة الأردياء" لولا أن الله أرسل له ملاكين لانقاذه، واخراجه من ذلك المكان النجس. وقيل له : **" اهرب لحياتك .. لا تقف فى كل الدائرة .. لئلا تهلك"** (تك١٩: ١٧) .

كل هذا عن السلبيات . فماذا قال المزمور عن الإيجابيات؟

لكن فى ناموس الرب مسرته

تحدثنا عن الطوبى التى للإنسان الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار كمشورة الحية لحواء (تك) ، ومشورة إيزابل لأخاب (١مل٢١) ، ومشورة أعداء المسيح لبيلاطس (مت٢٦: ٢٦) . ولا حتى فى المشورة الشريرة ، وإن صدرت من أناس قديسين مثل مشورة القديسة رفقة لإبنها يعقوب (تك٢٧) ، ومثل مشورة القديس بطرس حينما قال "حاشاك يارب" (مت١٦) .

إذن هذا المزمور يدعو إلى البعد عن العثرات .. عن كل مصدر تأتى منه الخطية .

ليس فقط من جهة الناس ، الأشرار والخطاة والمستهزئين وإنما أى مصدر آخر معثر، حتى لو كان كتاباً أو مجلة أو صورة .. أو مكاناً من الأمكنة أو فكراً يخطر لك .

ابعد عن مصادر الخطية ، لأنها تبرد روحك، وتضعك تحت تأثير خارجي خاطئ، وتعرضك لحرب لا تدرى نتائجها حتى إن انتصرت عليها، ربما تترك فى عقلك الباطن رواسب تفقدك نقاوتك.

☩ ☩ ☩

ومع ذلك فالبعد عن الشر لا يكفى . وإنما ينبغى بالأكثر تقوية الحياة الروحية ومحبة الله فى القلب .

وجمع الأمرين معاً واضح فى قول المزمور "حد عن الشر وافعل الخير" (مز٣٣) . وايضاً فى شهادة الرب عن أيوب الصديق إنه "رجل كامل ومستقيم، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨) .

إن كانت الناحية الإيجابية أساسية هكذا فى الحياة الروحية ، فما هى بداية الطريق إذن؟ يقول المزمور .

لكن فى ناموس الرب مسرته :

كلمة ناموس تعنى شريعة أو قانون . وناموس الرب هنا تعنى وصايا الرب وأوامره ، أوتعنى كلام الرب وكتابه بوجه عام .

فى ناموس الرب مسرته ، أى أنه يحب كلام الله .

ليست قراءة الكتاب المقدس بالنسبة إليه واجباً أو عبئاً، إنما موضع لذة، ومتعة روحية لذلك يقول داود النبى فى المزمور (١١٩) "كلماتك حلوة فى حلقى، افضل من العسل والشهد فى فمى". "ممحص قولك جداً، عبدك أحبه" "أبتهج أنا بكلامك، كمن وجد غنائم كثيرة" "لهذا احببت وصاياك أفضل من الذهب والجوهر" .

وأيضاً فى كلام الله تعزية له وخلاصاً .

فيقول للرب فى صلواته :

"اذكر لعبدك كلامك الذى جعلتنى عليه أتكل، هذا الذى عزانى فى مذلتى" وأيضاً "تذكرت أحكامك يارب منذ الدهر فتعزيت" . ويعتبر أن كلام الرب هو الذى يحفظه من الضياع والهلاك ، فيقول "لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى، لهلكت حينئذ فى مذلتى" (مز ١١٩).

أنه يشعر بفائدة شريعة الرب له وبحكمة وصاياه .

لذلك يقول له "مصباح لرجلى كلامك، ونور لسبيلى" (مز ١١٩). إنه الذى ينير لى الطريق فى ظلمة هذا العالم إنه الذى "يصير الجاهل حكيماً" . فيقول "وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد" .

"شهادة الرب صادقة تعلم الأطفال . فرائض الرب مستقيمة تفرح القلب "ناموس الرب كامل يرد النفس.. شهادات الرب صادقة

تصير الجاهل حكيماً" "اشهى من الذهب والأبريز، وأحلى من العسل وقطر الشهد" (مز ١٩) . ولذلك كله :

يلهج فى ناموسه النهار والليل :

يقول للرب "اشتقت إلى خلاصك يارب، وناموسك هو لهجى" "تكلمت بشهاداتك قدام الملوك، ولم أخز، ولهجت بوصاياك التى أحببتها جداً " "بفرائضك ألهج ، ولا أنسى كلامك" "سبقت عيناى وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك" "شهادتك هى درسى" "ناموسك هو درسى" (مز ١١٩) .

لذلك يطلب التعمق فى فهم كلام الله .

ويقول للرب "اكشف عن عينى ، فأتأمل عجائب من ناموسك" "غريب أنا على الأرض، فلا تخف عنى وصاياك" .. لماذا يطلب هذا الكشف وهذه المعونة الإلهية؟ لأنه يقول "لكل كمال رأيت منتهى.. أما وصاياك فواسعة جداً" (مز ١١٩) . كلما تأملت كلام الله ، تجد معانى جديدة وأعماقاً جديدة، وينكشف لك ما لم تكن تدركه من قبل .

✠ ✠ ✠

عبارة "وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً " تذكرنا بوصية الرب ليشوع بن نون" .

إذ قال له الرب "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج

فيه نهاراً وليلاً، لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك، وحينئذ تفلح" (يش١: ٨) .

لا يقل أحد ، ليس لدى وقت.

فيشوع بن نون كان قائد لجيش وقائداً لشعب، وليست مشغولياتك أنت مثله.. ومع ذلك قال له الرب "لايبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيه نهاراً وليلاً" ..

ونفس الوضع بالنسبة إلى داود النبى والملك ، الذى كان رئيساً لإمبراطورية واسعة ولم يكن له وزراء متخصصون .. كما كان رباً لأسرة كبيرة.. ومع ذلك يتكلم أيضاً عن لهجه فى ناموس الرب، وتلاوته ودراسته.. ولم يعتذر بقلة الوقت ..

بل إنه قبل داود ، وقبل يشوع ، ومن أيام موسى :

كانت هذه هى وصية الرب فى سفر التثنية :

فقال "لتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك. وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق، وحين تنام وحين تقوم" (تث٦: ٦، ٧) .

إذن اللهج فى ناموس الرب لا يكون فقط على المستوى الفردى، وإنما أيضاً على المستوى العائلى ..

والسؤال الآن : هل أنت كذلك ؟

إن هذه العبارة التى تتلوها من هذا المزمور فى صلاة باكر ، ليست مجرد صلاة ، وإنما هى أيضاً عظة ، هى وصية لك ، تحكم بها على نفسك، وتختبرها هل أنت تجد مسرتك فى تلاوة وصايا الرب؟ هل تلهج فيها النهار والليل؟ هل تحبها وتشتاق إليها؟ هل تقصها على أولادك؟ هل تتكلم بها حين تجلس فى بيتك؟ هل تتأمل فيها حين تمشى فى الطريق؟ وهل تتذكرها حين تنام وحين تقوم؟ هل تفرح بكلام الله كمن وجد غنائم كثيرة؟ وهل هى أحلى من العسل والشهد فى فمك؟

تأمل إذن فى فائدة كلمة الرب لك .

حقاً ما أجمل ما قاله القديس يوحنا الحبيب للشباب ، فى رسالته الأولى "كتبت إليكم ايها الشباب، لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (١يو٢: ١٤) .

إذن كلمة الله ، إن ثبتت فى العقل والقلب ، تعطى قوة ، وغلبة على الشرير .. ليس كل الشباب أقوياء فى الروح. ولكن الأقوياء هم الذين كلمة الله ثابتة فيهم . ولذلك غلبوا الشرير .

إن كلمة الله – كما قال الرب – هى روح وحياة (يو٦: ٦٣).

إذن افهم روح الوصية ، وحولها إلى جزء من حياتك.

تحب كلام الله ، فتقرأ كلامه باستمرار ، وتلهج فيه باستمرار

فتثبت الكلمة فيك، وتعطيك قوة . وترد بها على حروب الشياطين .
فكلما حاربتك خطية تضع أمامها وصية. فتجد استحياء داخلك من وصية الرب . كما أن الوصية تحمل نعمة خاصة تساعدك وتقويك.

انظر كلمة الرب وفاعليتها فى القديس أنطونيوس الكبير .

سواء وصية "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك.." أو وصية "لا تهتموا بما للغد" .. أو أنظر كلمة الرب لبولس الرسول "لا تخف بل تكلم ولا تسكت. لأنى أنا معك. لا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع١٨: ٩-١٠) بل تذكر كلمات الرب فى عظاته، حيث قيل عنه إنه "كان يتكلم بسلطان" (مر١: ٢٢) . الكلمة لها سلطان على الفكر والقلب والإرادة .

إنما يلزم لسلطان الكلمة ومفعولها ، أن يكون هناك استعداد فى القلب .

فلا تجعل كلمة الرب تصل فقط إلى أذنيك وإلى عقلك، وإنما بالأكثر تصل إلى قلبك، وتختلط بمشاعرك وتتحول إلى إرادتك.
وفائدة أن تلهج بالكلمة نهاراً وليلاً ، أنها تثبت فيك ولا تنساها. وهكذا قال داود النبى "خبأت كلامك فى قلبى، لكى لا أخطئ إليك" (مز ١١٩) .

أما البعد عن كلمة الله وفاعليتها ، فقد يهلك .

كما قال داود النبى أيضا "لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى، لهلكت حينئذ فى مذلتى" (مز ١١٩) . فإن كان نبياً عظيماً مثل داود يخشى الهلاك إن ابتعد عن تلاوة كلام الله، فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟ كلام الله هو غذاء لنفسك وروحك، كما قال الكتاب :

"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤) (تث٨: ٣) .

بها تحيا روحك ، كما يحيا بالخبز جسدك .. وبكلمة الله يمكن أن تحيا روحك فى كل الظروف ...

فيمكن أن عبارة الليل والنهار تؤخذ بمعنى رمزى : أى فى وقت الحزن وفى وقت الفرح، فى وقت التجربة وفى وقت السعة. فى وقت التعرض للسقوط، وفى وقت الصعود إلى فوق.. فى كل وقت.. حينما تكون الدنيا مظلمة من حولك، وحينما تكون مشرقة ومضيئة . وماذا يحدث لك حينما تلهج فى كلمة الله ؟

تكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه ..

الماء يعطيها الحياة باستمرار .وأنت بالكلمة تأخذ غذاءك الروحى باستمرار. وقد شرحت لك رموز المياه من قبل، فى عظتنا عن

غسل الأرجل فى كتاب "خميس العهد"، وفى محاضراتنا عن الرموز

ويكفى هنا أن نذكر قول الرب "من آمن بى.. تجرى من بطنه أنهار ماء حى. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو٧: ٣٨ - ٣٩) .

إذن المياه هنا ترمز إلى الروح القدس .

الروح "الناطق فى الأنبياء" كما يقول قانون الإيمان .. الروح الذى أوحى (٢بط١: ٢١) كما قال الرب للرسل "لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم هو المتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠). روح الله يعمل فى الكلمة حينما تتلوها وترددها وتصلى بها . ويعمل فى المزامير كما قال عنه الرب "قال داود بالروح.." (مر١٢: ٣٦) .

هذا الماء هو الماء الحى ، أو ماء الحياة :

هذا هو الماء الحى الذى طلب الرب من المرأة السامرية أن تشرب منه، قائلاً لها "من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو٤: ١٠- ١٤) . أو هو الماء الذى قال عنه الله فى العهد القديم "تركونى أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء" (أر٢: ١٣) .

شجرة مغروسة على مجارى المياه .. وروح الله يرف على

وجه المياه (تك ١: ٢) .

لاحظوا قوله "مجارى المياه" ولم يقل مجرى المياه .

والماء الجارى هو الماء النقى الحى، بينما الماء الراكد ماء فاسد. وهنا مجارى كثيرة للمياه تستقى منها نفسك .. كلمة الله ترويك ، وكذلك المزامير والصلوات والقداسات والتسابيح والتراتيل والألحان والتأمل ، والتناول .. حقاً ما أكثر مجارى المياه التى تغذى شجرة حياتك . وإن حدث وأبعدتها عن مجارى المياه، تذبل وتتساقط أوراقها ، ولا تعطى ثمراً .

ولكن ماذا عن الشجرة المغروسة على مجارى المياه ؟

✠ ✠ ✠

تعطى ثمرها فى حينه وورقها لا ينتثر .

إن الله يريد من حياتك أن تكون مثمرة، إن بدأت حياتك بالتوبة، يقول "اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة" (مت٣: ٨) "كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار" (مت٣: ١٠) . وما هو هذا الثمر؟ يقول الرسول "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام، طول أناة لطف، صلاح إيمان، وداعة تعفف" (غل٥: ٢٢- ٢٣) . فهل فى حياتك هذه الثمار ؟ أم يبكتك المزمور؟ تذكر قول الرب عن أهمية الثمار "من ثمارهم تعرفونهم.. كل شجرة جيدة تصنع ثماراً جيدة" (مت٧: ١٦ - ١٧) .

تعطى ثمرها فى حينه..

المؤمن البار هو شجرة مثمرة :

لابد أن يعطى ثمراً ، لأن عصارة الحياة تجرى فيه، لأنه مغروس على مجارى المياه حياته لها ثمر . كلماته لها ثمر لا يمكن أن ترجع فارغة (أش٥٥: ١١) . خدمته لها ثمر ، ثلاثين وستين ومئة (مت١٣: ٢٣) . كل هذه الثمار تدل على عمل الروح فيه، وعلى شركته مع روح الله .. ومن ثمارهم تعرفونهم (مت٧: ١٦).

وهذا الثمر دليل على البركة :

وهكذا يقول الرب فى اصحاح البركة "مباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك" (تث٢٨: ٤) . وهذا الإثمار هو طبيعة الشجر كما أرادها الله منذ البدء ، حينما خلق "كل شجر فيه ثمر" (تك١: ٢٩).. فهل أنت شجرة مثمرة ؟ ما هو نوع ثمرك؟ وما كميته أو متى تعطى هذا الثمر؟ .. يقول المزمور : تعطى ثمرها فى حينه.

فما معنى : تعطى ثمرها فى حينه ؟

أول معنى أنك لا تتأخر فى عمل الخير ، كما يقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله ، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله لا تقل لصاحبك: اذهب وعد فأعطيك غداً وموجود عندك" (أم٣: ٢٧-٢٨).. ربما إذا تأخرت فى عمل الخير ، تحدث أضرار أو تضيع

الفرصة وتتدم ..

أيضاً تعطى ثمرها فى حينه قد تعنى معنى آخر ، وهو :

✠ ✠ ✠

تعطى ثمرها فى الحين المناسب له ، حينما يكون لازماً .

فحين يحتاج الناس ، تعطى ثمر المحبة والرحمة والخدمة، وفى فترات السكون ، تعطى ثمر الصلاة والتأمل ، تعطى المشاركة الوجدانية فى الحين المناسب "فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين" (رو١٢: ١٥) .. حين يسئ إليك أحد، تعطى ثمر الإحتمال .. حين تصيبك تجربة، تعطى ثمر الصبر أو ثمر الشكر .. حينما تسمع مديحاً ، تعطى ثمر الإتضاع ، وترجع الفضل لله ...

✠ ✠ ✠

اللطيف فى الشجرة ، أنها تعطى ثمرها لغيرها ..

جذرها يمتد فى الأرض ويمتص الغذاء والماء ، ساقها يصعد إلى فوق حاملاً العصارة للفروع وللثمار والأوراق . وتحتمل الشجرة الحر والبرد وعصف الريح. وكل ذلك لكى تقدم ثمراً ينتفع به الغير. فثمرها لغيرها لا لنفسها . وكل تعبها لكى تغذى الآخرين وتسعدهم وتغنيهم .. إنها درس ، هذه الشجرة المعطاءة التى تعيش لتعطى ...

ليتنا نتذكر هذا ، وباستمرار نعطى ثماراً لغيرنا .

ونعطيهم هذه الثمار في الحين الحسن ، وبالقدر الوافي وباستمرار .. فلا ننقطع إطلاقاً عن العطاء . والماء الذي نمتصه من مجاري المياه والذي يرمز إلى عمل الروح ووسائط النعمة، هو أيضاً يكون لتقديم ثمار جديدة .. ليست فقط ثمار الشجرة لغيرها، بل حياتها كلها لغيرها.

والثمر ليس هو فقط عمل البر ، إنما هو الأبناء أيضاً .

كما قال الرب لآدم وحواء "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨) . وكان يعني أنجابهم .. ولعل هذا أيضاً يكون درساً للآباء والأمهات أن يكون نسلهم ثمرة لخير المجتمع الذي يعيشون فيه ولبناء الملكوت . وحينئذ يقول الرب لكل منهم "مباركة تكون ثمرة بطنك..." (تث٢٨: ٤) .

✠ ✠ ✠

الإنسان شجرة مثمرة ، تعطي ثمرها في حينه .. وماذا أيضاً ؟ يقول المزمور : وورقها لا ينتثر ...

ورقها لا ينتثر

فما معنى عبارة "وورقها لا ينتثر" .

إن الورق بلاشك يعطي جمالاً ورونقاً للشجرة ...

والشجرة العارية من الأوراق لا يكون لها منظر . ولعل

المقصود هنا ، أنه لا يكفى أن يكون الإنسان ذا ثمر ، وإنما أيضاً يكون قدوة لغيره. كما يقول الرب "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت٥: ١٦) . وكما قال الرسول "معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس" (رو١٢: ١٧) وهكذا لا يكونون عثرة فى شئ بل يكونون رائحة المسيح الذكية أمام الكل (٢كو٢: ١٥) .

المؤمنون الأبرار كالأشجار الدائمة الخضرة .

ليسوا أشجاراً خريفية (يه١١). وإنما كما أنهم يقدمون ثمراً، كذلك يقدمون ورقاً .. وورقهم لا ينتثر. بل يمكن أن يستظل تحته الناس .. ولكنهم فى نفس الوقت لا يكونون ورقاً بلا ثمر ، كشجرة التين التى لعنها السيد المسيح (مت٢١: ١٩) . لا يكونون مجرد مظهر بلا جوهر .. كل هذا من صفات الرجل البار ، وماذا أيضاً؟

وكل ما يعمله ينجح فيه ..

إنها صفة لازمة للأبرار . ليس فقط النجاح ، إنما النجاح فى كل شئ، فى كل ما يعملونه .

ما أجمل ما قيل عن يوسف الصديق " وكان الرب مع يوسف، فكان رجلاً ناجحاً " ورأى سيده أن الرب معه، وأن كل ما يصنع

كان الرب ينجحه بيده " (تك٣٩: ٢، ٣) . وفعلاً كان يوسف ناجحاً كابن، وكخادم، وكسجين ، وكوزير .. ناجحاً فى كل عمل ...

وما أجمل أيضاً ما قاله القديس يوحنا الحبيب لتلميذه غايس "فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة" (٣يو٢) .

النجاح عموماً بركة من الرب ، وفى نفس الوقت مكافأة للأمانة فى العمل والطاعة .

قد يسمح الله بفشل الإنسان الذى يعصى وصاياه ، كعقوبة إلهية على عصيانه، كما ورد فى اللعنات التى سجلها سفر التثنية، وهى كثيرة (تث٢٨) وقد يكون الفشل وعدم النجاح نتيجة طبيعية لأخطاء الإنسان .

وبعكس ذلك نجاح من يتمم وصايا الله، كما قال الرب ليشوع بن نون "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً ، لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح " (يش١: ٨) .

الفشل وعدم النجاح هو جزء من تساقط الأوراق .

حيث يتعرى الإنسان من المظهر الحسن أمام الغير ... فيعثرون، ويقولون: كيف يكون أولاد الله هكذا ؟! كيف أن الذين يذهبون إلى الكنيسة أو يخدمون فيها، يرسبون فى أمتحاناتهم ، أو

يفشلون في عملهم ..؟! وكما قال السيد المسيح "إن كان النور الذى فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون؟!" (مت٦: ٢٣) .

إن سقطت أوراقكم، فصورة المثاليات أمام الناس تهتز ...

وربما يتساءلون في قلوبهم هل حقاً هذه الشجرة مغروسة على مجارى المياه؟! وإن كانت هكذا، فلماذا تتساقط أوراقها؟! ولماذا تفشل في حياتها ؟! إنها عثرة ...

وهنا نقصد الفشل الذى يكون نتيجة الخطأ والإهمال ، وليس الذى هو نتيجة لحروب خارجية وحسد الشياطين ، أو ما يقوله مزمور آخر "كثيرة هى أحزان الصديقين" .. في كل هذه يكونون ناجحين من الداخل، وورقهم لا ينتثر، بصبرهم واحتمالهم وبشاشتهم...

لذلك إن وجدت نفسك فاشلاً فى شىء ، راجع نفسك .

هل هذا بسبب خطأ ، أو إهمال ، أو سوء تصرف ؟! أم هى محاربة خارجية لا دخل لإرادتك فيها . وباستمرار حاول أن تكون ناجحاً في كل عمل تعمله ، وأن تؤدى كل عمل بأمانة ودقة وجدية وبضمير صالح .

لأن القاعدة الأساسية أن يكون الإنسان البار ناجحاً ، وكل ما يعمله ينجح فيه .

ليس كذلك الأشرار

ليس كذلك الأشرار ، ليس كذلك ...

الأشرار يفقدون بركة الله ، وأيضاً يحصدون نتائج أخطائهم إنهم كما يقول الرسول "غيوم بلا ماء.. أشجار خريفية بلا ثمر .." (يه١٢) .

ولعل الكتاب يقصد بالأكثر النجاح الروحى، أو النجاح الحقيقى . لأن هناك نجاحاً زائلاً أو زائفاً . وهنا تواجهنا المشكلة التى عاتب فيها[1] أرمياء النبى الرب الإله قائلاً :

لماذا تنجح طريق الأشرار ؟ اطمأن كل الغادرين غدراً (أر١٢: ١، ٢) .

لماذا ينجح الذى يسلك بالرشوة ، والذى يسلك بالتعلق والرياء ، والذى يغطى أموره بالكذب والخداع؟! ولماذا ينجح السارق والظالم والعنيف والقاسى ؟

بلاشك ليس هذا هو النجاح الحقيقى المقصود . لأن كل هؤلاء فشلوا فى الداخل . فشلوا فى القيم والمثل والروحيات ، ولعلهم يذكروننا بقصة الغنى الذى عاصر لعازر المسكين ، وكيف أن هذا الغنى "استوفى خيراته على الأرض" لذلك فنصيبة فى العالم الآخر

هو العذاب .

والقديس أوغسطينوس يشبههم بالدخان الذى يصعد إلى فوق وينتشر ، وفيما هو يرتفع وينتشر ، يتبدد .

بينما النار تبقى تحت ، وهى محتفظة بحرارتها وفاعليتها ...

أما المزمور فيتحدث عن النجاح الحقيقى ، حتى لو أحاطوا به مثل النحل حول الشهد ، والتهبوا كنار فى شوك " (مز ١١٧).

يوسف الصديق القى فى السجن. ولكنه فى داخله ، وأمام الله، كان إنساناً ناجحاً، بعكس المرأة التى اضطهدته ...! (تك٣٩) .

لذلك لا نحسد الأشرار على نجاحهم الزائف ، مع إنهيار أرواحهم وسقوطها ، بل يقول عنهم المزمور أنهم :

كالعصافة

كالعصافة التى تذريها الريح عن وجه الأرض .

ربما ظن قايين أنه انتصر على هابيل وقتله . ولكن قايين فى الحقيقة قد قتل نفسه ، وصار كالعصافة التى تذريها الريح ، "تائهاً وهارباً فى الأرض" (تك٤: ١٤) بينما هابيل البار لم يمت بالحقيقة وقد طالب الرب بدمه الذكى (تك٤: ١١) (مت٢٣: ٣٥) "وهو وإن مات ، يتكلم بعد" (عب١١: ٤) .

فرق كبير بين الشجرة والعصافة .

الشجرة الثابتة فى الأرض ، وحفنة التبن التى تطيرها الريح عن وجه الأرض ! .. ومهما ارتفع التبن إلى فوق ، فهو تبن .. إننا نحتاج إلى أن نقيس الأمور بمقاييس روحية لنعرف أن الأبرار كالشجرة الثابتة ، والأشرار كالعصافة التى تذريها الريح . نعرف الفرق بين يوحنا المعمدان الذى أخذوا راسه على طبق، وكان أعظم من ولدته النساء (مت١١) . وأعظم من هيرودس الذى قتله .. وكان كالعصافة ، ومرتجفاً وخائفاً .. لأنه :

لا سلام ، قال الرب للأشرار (أش٤٨: ٢٢) .

ويقول الكتاب أيضاً " سراج الأشرار ينطفئ" (أى٢١: ١٧) . باعتبارهم تبناً أو قشاً أو عصافة ، ترفعهم الريح إلى فوق ، ومع ذلك لا ثبات لهم ولا سلام ولا قيمة ، مهما ارتفعوا .. وأيضاً :

لايقوم الأشرار

لا يقوم الأشرار فى يوم الدين .

لا تعنى هنا القيامة من الأموات فهى للجميع كما قال الكتاب "يسمع جميع الذين فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥:

٢٨، ٢٩) .

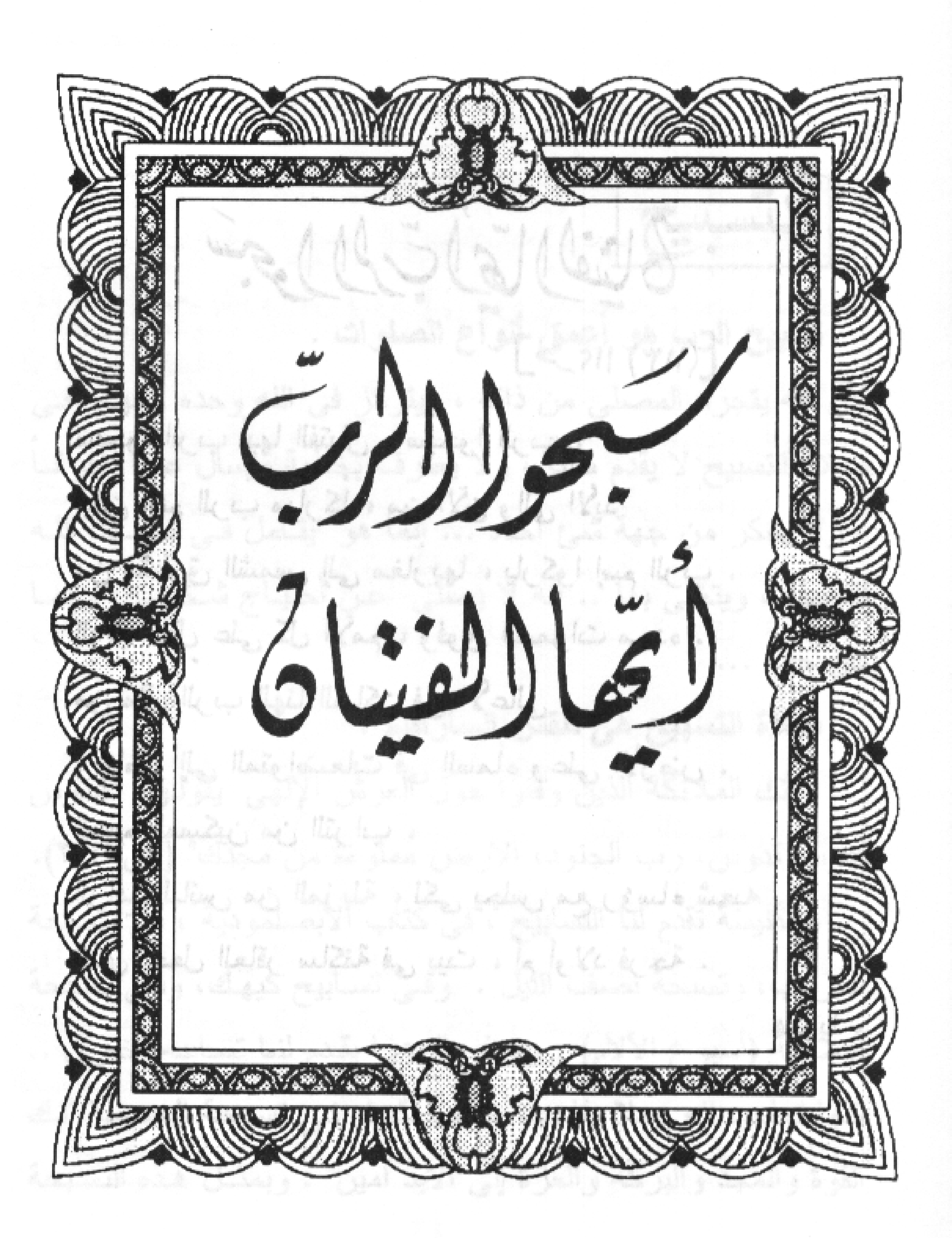
أما عبارة لا يقوم الأشرار هنا، فمعناها لا تقوم لهم قائمة لا يقدرون أن يقفوا أمام الله من شدة خزيهم، ولا يستطيعون أن يبرروا انفسهم أمام العدل الإلهى .. أو لا يظل أحد منهم قائماً أمام الله فى يوم الدين، إذ يقول لهم "اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم.. إنى لم أعرفكم قط" (مت٧: ٢٣) .. هم لا يستطيعون أن يقوموا فى مجمع الأبرار.

حالياً يختلط القمح بالزوان (مت١٣) . ولكن فى يوم الدين ليسوا كذلك . الغنى فى مكان ، ولعازر فى مكان آخر وبينهما هوة عظيمة (لو١٦: ٢٦) . لذلك قال "لا يقوم الأشرار فى يوم الدين، ولا الخطاة فى مجمع الصديقين" ، "لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتباد ...

الرب يقول لهم لا أعرفكم ، أى لا تستحقون معرفتى ..

يطرحون فى الظلمة الخارجية . وقد بادت كل طرقهم، ولم تعد تنفعهم بشئ ، الريح تذريهم وتذرى طرقهم أيضاً .

كل مكائدهم نحو الأبرار تنتهى . وكل افتخارهم أيضاً يباد ، وكذلك كل كرامتهم التى كانت لهم على الأرض ...



سبحوا الربّ
أيّها الفتيان

سبحوا الرب أيها الفتيان

[مز ١١٢ (١١٣)]

سبحوا الرب أيها الفتيان . سبحوا الرب .

ليكن إسم الرب مباركاً ، من الآن وإلى الأبد

من مشارق الشمس إلى مغاربها ، باركوا إسم الرب .

الرب عالٍ على كل الأمم ، وفوق السموات مجده .

من مثل الرب إلهنا الساكن فى الأعالى .

والناظر إلى المتواضعات فى السماء وعلى الأرض .

المقيم المسكين من التراب ،

الرافع البائس من المزبلة ، لكى يجلس مع رؤساء شعبه .

الذى يجعل العاقر ساكنة فى بيت ، أم أولاد فرحة .

هللويا ،

التسبيح

تسبيح الرب هو أعمق أنواع الصلوات .

لأن فيه يتجرد المصلى من ذاته ، ويتركز فى الله وحده . فهو فى صلاة التسبيح لا يقدم طلباً ، ولا يعترف بخطية ويسأل عنها غفراناً ، ولا يشكر من جهة شئ أخذه ... إنما هو يتأمل فى صفات الله الجميلة ، ويتغنى بها .. إنه لا يصلى عن أحتياج شخصى، وإنما عن حب ...

صلاة التسبيح هى طقس السارافيم .

أولئك الملائكة الذين وقفوا حول العرش الإلهى يقولون "قدوس قدوس قدوس، رب الجنود، الأرض مملوءة من مجدك" (أش٦: ٣).

والكنيسة تقدم لنا التسابيح ، فى كتاب الأبصلمودية ، فى تسبحة الغروب، وتسبحة نصف الليل . وفى تسابيح كيهك، وفى تسبحة البصخة (أسبوع الآلام) . وسفر الرؤيا يقدم لنا تسابيح أخرى .. كلها تماجيد لله ، بلا طلب .. كما نقول فى تسبحة البصخة "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين" . وبمثل هذه التسبحة

نختم الصلاة الربية .

والمزامير مملوءة بالتسابيح ، يقول فيها المرتل .

"سبحى يا نفسى الرب" " سبحى الرب يا أورشليم" "سبحى الرب أيتها الأرض كلها" "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" "سبحوا الرب وباركوا إسمه. بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه" وأيضاً "سبحوا الرب أيها الفتيان" .

ومن العجيب أن صلاة الساعة التاسعة ، تحفل مزاميرها بالتسابيح ، على الرغم أنها بمناسبة موت السيد على الصليب. فنحن نمجد هذا الموت، الذى به تم الخلاص للبشرية . ولا نخجل من موته، بل نفتخر به ، إذ كان فيه كل الحب للبشرية، وكل البذل ، وعظمة الفداء ...

وتسبيح الرب تشترك فيه الطبيعة أيضاً .

ففى المزمور ١٤٨ نقول "سبحى الرب أيتها الشمس وأيها القمر. سبحيه يا جميع كواكب النور. سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التى فوق السموات .. سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج . النار والبرد والثلج والضباب، الريح العاصفة الصانعة كلمته . الجبال وكل الآكام " .

وفى المزمور ١٩ نقول "السموات تحدث بمجد الله ، والفلك

يخبر بعمل يديه " .

والتسبيح تشترك فيه الملائكة .

ليس فقط السارافيم (أش٦) ، بل كل ملائكة الله . بل عجيب أن المرتل يطلب من الملائكة أن يشتركوا معه فى التسبيح ، فيقول "سبحوا الرب يا جميع ملائكته ، سبحوه يا كل جنوده" (مز١٤٨: ٢) "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز١٠٣: ٢٠) . بل الأطفال أيضاً ، كما دافع عنهم الرب عند دخوله أورشليم ، بقوله مكتوب :

"من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحاً " (مت٢١: ١٦) (مز٨: ٢) .

إن المرتل يريد أن يشترك الكل فى تسبيح الله . وما أجمل قوله "لأن كل الأشياء متعبدة لك يارب" .

فهل عندما تسمع نداء المرتل "سبحوا الله" ، تستجيب لذلك . وهنا أسأل :

ما هو مقدار التسبيح فى حياتك ؟

هل تمارسه ؟ هل دربت نفسك عليه ؟ هل تردد تسبحة الثلاثة تقديسات من كل قلبك؟ هل تستخدم باقى صلوات التسابيح المحفوظة؟ هل تقول لله مع المرنم : ليس لك شبيه يارب بين

الآلهة. يارب من مثلك !! تكلم مع الله عن ذاته، وعن حبك لصفاته. تأمل فى محبته ، فى مغفرته ، فى عظمته وجلاله .. قل له كما فى (مز ١١٩) :

محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى :

ردد عبارة التسبحة "إسمك حلو ومبارك ، فى أفواه قديسيك" .. لاحظ أن الطلبات الثلاث الأولى فى الصلاة الربية ، تدخل فى نطاق التسبيح "ليتقدس إسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك.." .. إن الله غير محتاج إلى تسبيحك. لكنك بتسبيحك له ، يتقدس فكرك .

يمكنك أن تسبح الله بلسانك ، وتسبحه بعملك .

وعن ذلك قال السيد الرب "فليضىء نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت٥: ١٦) .. كذلك كما تسبحه بلسانك ، تسبحه بقلبك . كما نقول فى التسبحة "قلبى ولسانى يسبحان القدوس" .

المزمور

"سبحوا الرب أيها الفتيان . سبحوا إسم الرب " .

كلمة (الفتيان) كما تعنى الصغار والأحداث والأطفال ، تعنى أيضاً المتضعين حسب تفسير القديس أوغسطينوس . فلكى لا يظن

بعض الكبار أن هذا المزمور لا يخصهم ، على أعتبار أنهم قد شاخوا ، نقول إنه ليس للكبار الذين كبروا فى أعين أنفسهم . بل هو للذين هم صغار فى أعين أنفسهم مهما كبروا. هو للمتضعين والحديثى الإيمان .

ويمكن أن يقوله الآباء والخدام لأبنائهم .

يقوله الآباء والأمهات لأبنائهم : سبحوا الرب أيها الفتيان . بل يكتبون هذه الآية ويعلقونها فى بيوتهم ، كدرس دائم . ونفس العبارة يقولها الآباء الكهنة وخدام مدارس الأحد ، لكل من هم تحت مسئوليتهم. إنها مبدأ تربوى . نقوله لأنفسنا ولأولادنا . وإن تذمروا لسبب ما، نقوّمهم بهذه الآية. ونضع أمامهم هذه الآية مهما أصابهم.

فعلينا أن نسبح الله ، مهما أصابتنا الضيقات .

ومثالنا فى ذلك أيوب الصديق ، الذى فى كل تجاربه وضيقاته وآلامه كان يقول "ليكن إسم الرب مباركاً" (أى ١: ٢١) . لذلك ينبغى أن نسبح الرب ونشكره على كل حال، ومن أجل كل حال، وفى كل حال، سواء كنا عند جبل التجلى، أو كنا فى الجلجثة أو جثسيمانى. نباركه فى الضيقة كما فى السعة . حينما تغمرنا بركاته، وحينما تلاحقنا شماتة الأعداء ...

سهل أن نقول "باركى يانفسى الرب ، ولا تنسى كل إحساناته"

(مز١٠٣: ٢) . ولكن هل تستطيع أن تسبح إسم الرب، وأنت فى بطن الحوت، تقول "طرحتنى فى العمق فى قلب البحار.. جازت فوقى جميع تياراتك ولججك" . وتقول معها أيضاً " أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك .. " (يون ٢: ٣، ٩) .

تسبح إسم الرب فى الظلمة وفى النور . حينما يستجيب صلواتك، أو تظن أنه لم يستجب . تسبحه فى أوقات النجاح ، وفى أوقات الفشل، فى أوقات الإضطهاد وفى أوقات التعزية .

الذين يسبحون الله باستمرار ، يملك السلام قلوبهم . لا يتضايقون ولا يتذمرون .

ومن الناحية الأخرى ، الذين يملك السلام قلوبهم ، يسبحون الرب فى كل حين. حقاً ما أجمل قول المرتل فى المزمور "أبارك الرب فى كل وقت . وفى كل حين تسبحته فى فمى. بالرب تفتخر نفسى [مز٣٣ (٣٤): ١] .

✠ ✠ ✠

ليكن إسم الرب مباركاً ، من الآن وإلى الأبد .

إسم الرب العالى ، الذى ترتعد أمامه الملائكة ، الإسم الذى هو فوق كل إسم ، فليكن مباركاً فى كل حين، لا نذكره إلا بكل تمجيد، قائلين له "ليتقدس إسمك" . لا نتذمر عليه مهما حدث ، ولا ننسب إليه شراً أو ظلماً ، ولا ندّعى إنه قد نسينا أو قصر فى رعايتنا!

حاشا .. إنما كل ما يصيبنا من ضيقات له أسباب أخرى. والرب سيتدخل فيها ويصلحها . لذلك فليكن إسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد، وأيضاً :

☩ ☩ ☩

"من مشارق الشمس إلى مغاربها ، باركوا إسم الرب" .

يمكن أن تعنى هذه العبارة من الصباح إلى المساء ، أى كل الوقت. ويمكن أن تعنى من مشارق الشمس – جغرافياً – إلى مغاربها، أى كل الدنيا . فهى دعوة لكل الشعوب أن تبارك إسم الرب، أو هى صلاة نوجهها إلى الله أن يفتقد كل تلك الشعوب البعيدة فى أقصى الشرق ، التى تعبد براهما وبوذا وكنفوشيوس ، وعبادات أخرى كثيرة ، لكى تؤمن وتبارك إسم الرب، وهى تشمل آلاف الملايين . فكأنها صلاة أن يمتد ملكوت الله ، ليشمل الأرض كلها. لأنه "للرب الأرض وملؤها ، المسكونة وكل الساكنين فيها " [مز٢٣ (٢٤) : ١] .

فى كل هذا ، لا يطلب المصلى لأجل نفسه ، إنما لأجل الرب وملكوته فى كل مكان .. عجيب هذا المزمور فى نسيان المصلى لنفسه ، وتركيزه على الله وعلاقة الناس به . فهو يقول بعد ذلك:

☩ ☩ ☩

الرب عالٍ على كل الأمم . وفوق السموات مجده . من مثل

الرب إلهنا الساكن فى الأعالى .

إن كان الرب ساكناً فى الأعالى ، فعلى الأقل يسكن فى قلوب الناس.. حتى إن كانت الأمم تنكره ، فهذا لا يضيره ، ولا ينقص من مجده ، لأنه عالٍ على كل الأمم . ولأن مجده فوق السموات ، وفوق الملائكة . وهناك سماء أعلى من هذه السموات، هى "سماء السموات" إذ قيل للرب "هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك" (١مل٨: ٢٧) .. حقاً ، من مثل الرب إلهنا الساكن فى الأعالى" .

إن كان علوك بهذا القدر ، فمن نحن حتى نقترب إليك ؟!

هل هذا يشعرنا بصغر نفس وإحباط ويأس ، إذ لا نقدر على الإقتراب من الله "الساكن فى نور لا يدنى منه. الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١تى٦: ١٦)، الذى فوق السموات مجده".. كلا، فإن المزمور يمنحنا الرجاء فى الله بقوله عنه :

✠ ✠ ✠

الساكن فى الأعالى ، الناظر إلى المتواضعات :

"الناظر إلى المتواضعات فى السماء وعلى الأرض" "المعطى البهائم طعامها ، ولفراخ الغربان التى تدعوه" [مز١٤٦ (١٤٧) : ٩] . الذى يقول عنه المزمور "الرب قريب لكل الذين يدعونه" (مز١٤٥: ١٨) .

كثير من البشر إذا ارتفع قدرهم أو منصبهم ، يرتفع قلبهم ، ويتعالون على من هم أقل منهم، كما قال الشاعر :

لما صديقى صار من أهل الغنى   أيقنت أنى قد فقدت صديقى

أما الله فليس هكذا : إنه الساكن فى الأعالى ، وفوق السموات مجده. وعلى الرغم من ذلك، هو الناظر إلى المتواضعات فى السماء وعلى الأرض. ولما لم نستطع أن نصعد إليه، نزل هو إلينا..

"الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع٤: ٦) .

الملاك المتكبر الذى قال "أصعد إلى السموات . أرفع كرسى فوق كواكب الله .. أصير مثل العلىّ " (أش١٤: ١٣، ١٤) . هذا "انحدر إلى الهاوية ، إلى أسافل الجب" (أش١٤: ١٥) . أما الملائكة المتواضعون الذين يفعلون أمره عند سماع صوت كلامه" (مز١٠٣)، فهؤلاء أعطاهم نعمة ...

العذراء ، اختارها الرب من بين كل النساء، لأنه "نظر إلى إتضاع أمته" (لو١: ٤٨) .

وهكذا قالت فى تسبحتها "انزل الأعزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين" "شتت المستكبرين بفكر قلوبهم" (لو١: ٥٢، ٥١) . إن أيوب الصديق ، حينما كان "باراً فى عينى نفسه" (أى٣٢: ١) .

ولكنه حينما تواضع، ورفض البر الذاتى، وقال "أرفض ، وأندم فى التراب والرماد" وحينما قال "نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم أدركها" (أى٤٢: ٦، ٣) ، حينئذ انتهى وقت تجربته، ورد الرب سبى أيوب ، وزاد على كل ما كان له ضعفاً (أى٤٢: ١٠) .

هذا الإله الناظر إلى المتواضعات ، قيل عنه أيضاً إنه :

✠ ✠ ✠

" المقيم المسكين من التراب ، والرافع البائس من المزبلة ، لكى يجلس مع رؤساء شعبه" .

هكذا فعل الله مع داود الذى كان مسكيناً بين يدى شاول الملك، وكان محتقراً من اخوته، الذى قال "صغيراً كنت فى بيت أبى، ومحتقراً كنت عند بنى أمى" ، هذا رفعه الله، وصيره ملكاً ، وصار أعلى من كل بيت شاول .

وكذلك يوسف الصديق ، الذى كان مسكيناً فى يدى أخوته فألقوه فى البئر وباعوه للإسماعيليين (تك٢٧: ٢٧، ٢٨) ، هذا رفعه الله "وجعله أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر" (تك٤٥: ٨) .

كذلك يمكن أن يطلق هذا على كنيسة الأمم .

التى كانت من الغرباء ، بلا أنبياء بلا آباء ، بلا شريعة، بلا

عهود ، فصارت رعية مع القديسين ومن أهل بيت الله (أف٢: ١٢، ١٩) .

ويمكن أن تنطبق على كل إنسان منسحق القلب . وكذلك على الإنسان التائب الذى يقبله الله ، ويسكنه الروح القدس . وينطبق عليه قول المزمور :

✠ ✠ ✠

"الذى يجعل العاقر ساكنة فى بيت ، أم أولاد فرحة !

من الناحية الحرفية ، تنطبق هذه الآية على كثير من العواقر : أمثال سارة أم اسحق ، وراحيل أم يوسف الصديق ، وحنة أم صموئيل، واليصابات أم يوحنا المعمدان ، وعلى كثير من العواقر .

وتنطبق على كنيسة الأمم ، التى قيل عنها فى سفر أشعياء النبى "ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد .. أوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك .. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار . ويرث نسلك أمماً ، ويعمر مدناً خربة (أش٥٤: ١- ٣) .

وتنطبق الآية أيضاً على النفس الخاطئة التى كانت عاقراً من جهة البر ، ثم بدأت تنجب من الروح القدس فضائل عديدة ، وأصبحت ساكنة فى بيت الله ، أم أولاد فرحة .

إنها تنطبق على الأرض التى "كانت خربة وخالية ، وعلى وجه

الغمر ظلمة . ثم قال الله ليكن نور ، فكان نور " . (تك ١ : ٢، ٣) . ثم عمرت الأرض بالإنسان والنبات والحيوان والطبيعة ، وصارت أم أولاد فرحة .

وهذه الأرض هى رمز لكل نفس بشرية كانت فى مثل حالتها ، واشفق عليها الله ، فصارت عامرة بكل ثمار الروح ، أم أولاد فرحة .




يا اللّه
أنت إلهي
إليك أبكّر
مز ٦٢ (٦٣)

يا الله أنت إلهى، إليك أبكر

مز٦٣(٦٣)

يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك .

لكى يزهر لك جسدى فى أرض مقفرة ، وموضع غير مسلوك،

ومكان بلا ماء. هكذا ظهرت لك فى القدس ، لأرى قوتك ومجدك .

لأن رحمتك أفضل من الحياة .

شفتاى تسبحانك ، لذلك أباركك فى حياتى ،

وباسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم .

شفاه الإبتهاج تبارك إسمك. كنت أذكرك على فراشى .

وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك .

لأنك صرت لى عوناً ، وبظل جناحيك أبتهج .

التحقت نفسى وراءك ، ويمينك عضدتنى ،

أما الذين طلبوا نفسى للهلاك ، ويمينك عضدتنى

أما الذين طلبوا نفسى للهلاك ، فيدخلون فى أسافل الأرض ،

ويدفعون إلى يد السيف ، ويكونون أنصبة للثعالب .

أما الملك فيفرح بالله . ويفتخر كل من يحلف به .

لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد . **هللويا.**

مناسَبة المـزمُور

قال داود هذا المزمور وهو فى البريـة ، حينمـا كـان هاربـاً مـن شاول الملك الذى كان يطارده ويريد قتله .

فى الواقع إن المزامير التى قالها داود وهو فى الضيقة، كـانت من أجمل مزاميره .

قالها بنفسية حسّاسة ، وقلبه متصل بالله . وقـد رفعـه الألـم إلـى مستوى عميق من المشاعر . وكما قال أمير الشعراء :

ومُتعتَ بالألم العبقرىّ وأنبغ ما فى الحياة الألم

ليس الألم شيئاً رديئاً ، إن أحسن الإنسان استغلاله . فهو يعصـر النفس ويُخرج منها روحيات جميلة . ونلاحظ أن داود النبى ، كـان - إذا أحاطت به المشاكل - لا يتذمر ولا يتضجر ، بـل يرفـع قلبـه إلى الله مصلياً . وحالما يتصل قلبه بالله فى الصلاة ، ترتفع روحه. فلا تضغطه المشاكل ولا الضيقات . كان يعالج الضيقة بالصلاة .

وكان فى صلاته ينسى المشكلة ويتذكر الله .

وحينئذ كان يستريح من الداخل ، بل تتحول طلبته إلى شكر .

وإذ لا يجد معونة من الله ، يلجأ إلى الله ليأخذ منه العون .

هَدفه ووَسيلته

إنه من أجمل مزامير داود ، فى شرح العلاقة مع الله :

١ - يشرح اشتياقه إلى الله بقوله "عطشت نفسى إليك" " يزهر لك جسدى" " التحقت نفسى وراءك " .

٢ - يسبح الله بقوله "شفتاى تسبحانك. لذلك أباركك فى حياتى".

٣ - يظهر شبعه بالله فى قوله "باسمك ارفع يدى، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم " .

٤ - يتحدث عن الشركة مع الله ، والعلاقة مع الله ، والحديث مع الله. فيقول "كنت أذكرك على فراشى. وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك ".

٥ - يتكلم عن اعتماده على الله ، فيقول "لأنك صرت لى عوناً، وبظل جناحيك أبتهج".

٦- يتكلم عن انتصاره عن طريق معونة الله، فيقول: "إما الذين يطلبون نفسى فيدخلون إلى أسافل الأرض، ويدفعون إلى يد السيف.

هذا هو ملخص علاقته بالله :

الإشتياق إلى الله . تسبيح الله . الشبع به .

الشركة معه . الإعتماد عليه . الإنتصار بواسطته .

٧ - أما الطريقة التى سلك بها داود ، فهى أنه حاول أن يمسك بالله بكل الطرق :

أولاً : بالإيمان ، إذ يقول " يا الله أنت إلهى " .

ثانياً : بالحب ، إذ يقول " عطشت نفسى إليك .. " .

ثالثاً : بالرجاء ، إذ يقول "أما الملك فيفرح بالله" وقوله "لأن رحمتك أفضل من الحياة" .

رابعاً : بالصلاة ، إذ يقول "كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك" "باسمك ارفع يدى ، فتشبع نفسى.." .

بعد هذه المقدمة ، فلنتناول المزمور آية آية .

يَا اللّه أنتَ إلهى

بهذا يظهر إيمانه بالله ، ويذكر أن الله هو إلهه الخاص .

يكلمه لا كإله لكل الناس ، ولكل الشعوب والأمم ، وإنما باعتباره إلهه الخاص .

" أنت إلهى " . بينى وبينك علاقة خاصة .. كمن يقول للسيد المسيح "أنت مخلصى" ، مع أنه مخلص العالم كله ...

والله نفسه كان يستخدم هذا الأسلوب أحياناً ، فيقول "أنا إله

ابراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب" (خر٣: ٦) . وهكذا أيضاً صلى يعقوب وقال " يا إله أبى ابراهيم ، وإله أبى اسحق.." (تك٣٢: ٩) .

إن الله يوافق أيضاً على هذه العلاقة الخاصة .

يحدثنا التاريخ أحياناً: إنه حينما كانت تحدث معجزة أثناء تعذيب مارجرجس، كان كثيرون يؤمنون ويصيحون قائلين "نؤمن بإله مارجرجس" أو "عظيم هو إله مارجرجس".. مع أنه إله العالم كله.

ومن أمثلة ذلك ، بعد معجزة نجاة الثلاثة فتية من أتون النار، أن نبوخذ نصر الملك قال "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو .." (دا٣: ٢٨) . وكذلك فعل داريوس الملك بعد نجاة دانيال من جب الأسود، الذى كتب إلى كل شعوب مملكته قائلاً "منى صدر أمر بأنه فى كل سلطان مملكتى، يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه الإله الحى القيوم إلى الأبد .. " (دا٦: ٢٦) .

كثيرون يعبدون الله، ولكنهم لا يشعرون إنه هو إلههم بالذات.

يصلى الواحد منهم إلى الله ، دون أن يشعر أنه هو إلهه الخاص . ولا يقول له "يا الله أنت إلهى" ، أنت الذى خلقتنى من العدم ، أنت الذى ترعانى . حقاً إنك ضابط الكل ، لكنك بالنسبة إلىّ لك رعاية خاصة بى أعرفها جيداً ...

وما أكثر أمثال هذه التأملات فى القداس الغريغورى ، التى

يصلي فيها الكاهن باسلوب المفرد "انت الذى خلقتني إذ لم أكن .. رفعت لي السماء سقفاً ، وثبتّ لي الأرض كي أمشي عليها. من أجلي ألجمت البحر . من أجلي أخضعت طبيعة الحيوان .. " .

إليك أبكّر

ايمانك بالله كإله خاص بك ، لابد أن يكون له تأثير عملي في حياتك . فالإيمان الإسمي أو الشكلي أو الظاهري ، لا ينفعك بشئ .

مادام هو إلهك ، ينبغي أن تبكر إليه ، لتتحدث معه .

ويكون أول من تتشئ معه علاقة في يومك . فالمحبة التي لا يثبتها العمل هي محبة باطلة أو محبة ناقصة . لذلك فأنت في محبتك لله، تظهر محبتك بتبكيرك للتواجد معه . فأول ساعة من يومك تخصصها له . وهكذا تعطيه بكور وقتك . وعلى الأقل يكون الله هو أول من تتحدث معه في يومك .

ويتقدس يومك إذ يبدأ بالله .

إذ تعطيه الوقت البكر ، الذى لم يرتبط بأى فكر خاطئ ، ولا بأى شعور سئ ، ولا بأية علاقة مع إنسان، أو إهتمام بشئ ما. وإذ تذكر الله في بدء يومك ، إنما يتقدس فكرك بالصلاة ، ويستحي من أنه ينشغل بشئ خاطئ . وكما كان الله يأخذ البكور من المحاصيل

فى العهد القديم ، هو الآن يأخذ بكور وقتك بالصلاة والتأمل وقراءة الكتاب والأفكار الروحية .

عبارة "إليك أبكر" تدل على اشتياقك إلى الله .

فأنت لا تريد أن يطول نومك ، ويشغلك عن الحديث مع الله ، وإنما تسرع إلى الاستيقاظ لكى تتمتع بالوجود مع الله، لكى تحيا معه ومع وصاياه ، لأن نفسك قد عطشت إليه .

فى هذا التبكير المشتاق إلى الله، تقول مع داود :

"سبقت عيناى وقت السحر، لأتلو فى جميع أقوالك .

أى سبقت عيناك وقت الفجر ، لتتلو فى أقوال الله .

وهكذا تعلمنا الكنيسة فى بدء صلاة باكر ، أن نصلى الإصحاح الأول من الإنجيل للقديس يوحنا البشير "فى البدء كان الكلمة" . وفى تأمل - فى غير معناها اللاهوتى- تجعل الله الكلمة فى بدء يومك..

وحسناً أسمتها الكنيسة صلاة باكر ، حاملة معنى التبكير .

ولم تطلق عليها إسم صلاة الصباح . لأن فيها يقول المصلى "يا الله أنت إلهى إليك أبكر" . ويقول أيضاً "سبقت عيناى وقت السحر ، لأتلو فى جميع أقوالك .

أنا يارب أبدأ يومى معك ، وآخذك معى طول النهار . تكون معى فىالبيت ، وفى الطريق وفى مكان عملى ، وفى كل ما أعمله.

اضعك فى فكرى ، وعلى لسانى ، وداخل قلبى .

وآخذ منك نعمة وروحاً ومعونة . وأعطيك قلبى ومشاعرى .

كثيرون يبكرون لأجل أمور كثيرة . لأجل ميعاد العمل ، لأجل ميعاد السفر ، لأجل إعداد أنفسهم لإمتحان أو لدراسة أو لمقابلة هامة ... فلماذا لا يبكر الإنسان للقاء مع الله ؟

وفى التبكير لله ، تقول له : ليس لأى مصلحة خاصة ، وإنما :

عَطشت نفسى إليك

إنه اشتياق النفس إلى الله ، كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء . أو كما يقول فى مزمور آخر "كما يشتاق الأيّل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الإله الحى. متى أجئ وأتراءى قدام الله؟ " (مز ٤٢: ١، ٢) .

هذا العطش الذى عبر به داود عن مشاعره ، لعله تعبير عما قاله المسيح فى عظته على الجبل " طوبى للجياع والعطاش إلى البر ، لأنهم يشبعون" (مت٥: ٦) . ولا يوجد برّ أعظم من الوجود مع الله والتمتع به .

العطش إلى الله يدل على أن صلاته ليست مجرد طاعة لأمر، أو تغصب لصنع فضيلة .

إنما هى مشاعر اشتياق إلى الله . إنـه عطشـان إلـى ذلـك المـاء الحى، الذى قال عنه الله في توبيخه لليهود "تركونى أنا ينبوع الميـاه الحية، لينقروا لأنفسهم أباراً ، آبـاراً مشـققة لا تضبـط مـاء " (أر ٢: ١٣) . وهو الماء الحى الذى تحدث عنه الرب مع المرأة السـامرية: وأنه "ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية " (يو ٤: ١٤) .

داود النبى عرف – وهو فى العهد القديم – الأرتـواء مـن المـاء الحى .. وكأنه يقول لله فى صلواته :

أنا لا أريد أن أرتوى بماء من عندك ، إنما أريد أن أرتـوى بـك أنت. أنت مائى ، وفيك رىّ نفسـى . أنـا أرتـوى بـك . أنـا مشـتاق إليك. أتغذى بك وأحيا بك . أنا معك مثـل الشـجرة المغروسـة علـى مجارى الماء . والماء الذى ترتوى به هو أنت يارب . من غيرك لا استطيع أن اعيش يوماً واحداً . فأنت ماء الحياة بالنسبة إلىّ . إن بعدت عنك، تجف نفسى وأموت . أكون كمن قلت عنه إن له إسـماً إنه حىّ وهو ميت (رؤ٣: ١) .

أنا متعجب من هذا الرجل داود ....!

طول النهار مع الله ، يقول له "سـبع مـرات فـى النهـار سبحتك علـى أحكـام عدلـك " (مز ١١٩) . هـو معـه عشـية وبـاكر ووقـت الظهر. وكل ذلك غير كافٍ لـه. فحينمـا يذهـب لينـام ، يقـول "كنـت

أذكرك على فراشي" . وهو لا يستمر على فراشه ، وإنما يقول "فـي نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلـك" (مز ١١٩) . وبعد نصـف الليل يقول "سبقت عينـاى وقت السـحر، لأتلو فـي جميــع أقوالك". وبالرغم من هذا الليل المتقطع بالصلاة يقول للـه " يـا اللـه أنت إلهى، إليك أبكر. عطشت نفسى إليك " .

حقاً أنا طول الليل فى حضنك الإلهـى . شمالك تحت رأسـى ، ويمينك تعانقنى (نش٢: ٦) . ومع ذلك لابد أن أصحو مبكـراً ، لأن نفسى قد عطشت إليك. وهو وقـد جرّب محبـة اللـه والحياة معـه ، يدعو الناس إلى مشاركته فى ذلك ، فيقول لهم :

"ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤: ٨) .

وإن ذقتم محبة الله ، سـوف تحبونـه ، وتشـتعل نـار محبتـه فـى قلوبكم. ومن شدة هذه الحرارة تشـعرون بـالعطش ، وبالحاجـة إلـى الماء ليرويكم . وهذا الماء هو الله نفسه ...

إننـا لا نصلـى مثـل داود ، لأننـا لا نحـب اللـه مثلمـا كـان داود يحبه. حقاً إننا نعيش في نعم العهد الجديـد ، ولكـن ليسـت لنـا محبـة داود لله وقد كان يعيش فى العهد القديم . إننا لم نصل إلـى مسـتوى قلب داود ، الذى كان قيثارة للروح القدس .

كان يحسن العزف على العـود (١صم١٦: ١٦) . وهـو نفسـه

كان العود الذى يعزف عليه الروح القدس ألحاناً فى محبة الله .

لقد كان يعيش فى العهد القديم بروح العهد الجديد . كان صلاته إلى الله متعة روحية له ، ورائحة سرور للرب كدخان المحرقة (لا١: ٩) . كان صلاته شوقاً إلى الله ، وحباً ، وعطشاً إلى الله ..

كل عبارة "أنا عطشان" التى قالها السيد المسيح على الصليب، كانت -بالإضافة إلى معناها الجسدى الحرفى- تمثل معنى الإشتياق إلى الإرتواء بعبارة "قد أكمل" التى بها ارتوى "إبن الإنسان" بتكميل رسالته فى الفداء وطاعته للآب حتى الموت ..؟!

طبعاً كان السيد المسيح فى حالة إرتواء دائم مع الآب . ولكننا نتكلم هنا عن الحب فى عمل مشيئته، ونقل محبته إلى الناس (يو٣: ١٦) . يقول داود عن سبب عطشه إلى الله " لكى يزهر لك جسدى فى أرض مقفرة، وموضع غير مسلوك ، ومكان بلا ماء " .

يُزهر لك جَسَدى

"لكى يزهر لك جسدى " . لأن الجسد ليس شراً ، كما يرى البعض الذين يرون الخير كله فى الروح . فالرسول يقول "مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ٢٠) .

إن الجسد ليس شراً ، فالله قد خلقه. والله لا يخلق شراً. والجسد

ليس شراً، وإلا ما كان السيد المسيح قد اتخذ له جسداً واتحد به .

الجسد إذن يمكن أن يزهر للرب ، حينما يسير مع الروح فى إتجاه واحد، ويخضع للروح التى تخضع لله .

يمكن أن يشترك الجسد مع الروح فى عبادة الله . يقف فى وقار أمام الله فى الصلاة ، ويرفع يديه فى الصلاة، حسبما يقول داود فى نفس هذا المزمور "باسمك ارفع يدى، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" (مز٦٣: ٤، ٥) . أو يركع الجسد فى صلاته ويسجد، ويقول مع داود "لصقت بالتراب نفسى" (مز١١٩) ، أو يتعب الجسد من عمل الخير .

"يزهر لك جسدى " ، أى يبدأ فى الثمر .

الذين يعملون فى الزراعة ، يعرفون أن الثمرة تبدأ حينما تزهر الشجرة ، ثم يعقد الزهر ، فيكون بداءة الثمرة . والشجرة الجيدة هى التى تصنع ثمراً .

كذلك فالزهر له رائحة زكية ، ومنه يصنع النحل شهداً .

هكذا إذن عبارة يزهر جسدى ، تعنى الثمر الذى لله ، كما تعنى الرائحة الزكية ، التى يتنسّم منها الله رائحة الرضا (تك٨: ٢١) .

يزهر لك جسدى ، وليس لغيرك .

لأن هناك أشخاصاً جسدهم يزهر للعالم . يهتم الواحد منهم

بجمال جسده وأناقته ورشاقته ورائحته الطيبة ، كل ذلك للعالم ، وربما للخطية . ينظر إليه العالم فيجده جسداً جميلاً ، كالقبور المبيضة من الخارج ، وفى الداخل عظام نتنة " (مت٢٣: ٢٧) .

أما داود فقال للرب "يزهر لك جسدى" . من أجلك ومن أجل ملكوتك ، يتعب لك جسدى بالسهر والصوم ، بالعرق والدموع، بالصلاة والمطانيات، بالتعب فى الخدمة ، بتحمل الآلام من أجلك. وهكذا يكون جسداً يزهر فى العمل الروحى ، ثم يثمر أيضاً .

بعض القديسين كانت أجسادهم مجرد جلد على عظم ، من شدة النسك والزهد والصوم . ولكنها كانت مزهرة لله تقدم له ثمار الفضيلة، "فى أرض مقفرة، وموضع غير مسلوك، ومكان بلا ماء".

فى أرض مقفرة

كان داود فى ذلك الوقت فى أرض مقفرة ومكان بلا ماء ، هارباً من شاول الملك ، ومع ذلك كان مزهراً للرب . كان كل ما يحيط به هو الخوف والضيقة والتعب والمطاردة . وكان شاول يتربص له فى البرية ، ويضع له كميناً لكى يقتله . وكان داود يعرف ذلك تماماً ، كما قال ليوناثان بن شاول "إنه كخطوة بينى وبين الموت" (١صم٢٠: ٣) ...

ومع ذلك ، وهو فى تلك البرية القفرة والموضع غير المسلوك والمكان الذى بلا ماء، لم يفكر فى ضيقاته ومتاعبه، ولم يفكر فى الموت الذى يتهدده، ولا فى شاول الذى يطارده، وإنما غنى لله قائلاً "يا الله أنت إلهى إليك أبكر.. يزهر لك جسدى فى أرض قفرة.

فى ضيقاته لم يكن يتذمر ، إنما كان يتذمر بالمزامير .

وعلى الرغم من متاعبه وضيقاته ، كانت نفسه مرتفعة عالية، وكان فكره مرتبطاً بالله . وكان يسبح الله قائلاً "شفتاى تسبحانك، لذلك أباركك فى حياتى" .

فى هذا المكان الذى بلا ماء، لم يكن داود يشتاق إلى الماء، وإنما إلى الله. كانت حرارة الروح عنده تجعله ينسى جسده، أو لا يشعر به . أو من الناحية الروحية والرمزية ، يمكن أن نأخذ هذه الكلمات بمعنى آخر فنقول :

يزهر لك جسدى فى أرض مقفرة، أى فى حياة التجرد. وفى موضع غير مسلوك أى فى الوحدة معك. نقول هذا فى تأملنا الروحى .

بدء دعوة ابراهيم أن أخرجه الله من أهله ومن عشيرته ومن بيت أبيه ، إلى الجبل الذى أراه إياه (خر١٢: ١، ٢) إلى موضع غير مسلوك من جهة تلك البيئة . كذلك كلّم الله موسى وحده على الجبل ، فى موضع غير مسلوك وفى أرض مقفرة ومكان بلا ماء .

كذلك فى موضع قفر غير مسلوك كلّم الرب إيليا النبى ، وهو هارب من أيزابل (١مل١٩) .

وفى المزمور الأول يريدنا الله أن نعيش معه فى موضع غير مسلوك من الخطاة والمنافقين ومجالس المستهزئين .

إن عمق العلاقة بالله يناسبها الخلوة، أى الموضع غير المسلوك .

بعيداً عن ضجيج المجتمع ومشاكله .. وهذا ما نريد أن ندرب أنفسنا عليه، حسبما نستطيع . أما آباؤنا القديسون فعاشوا فى ذلك طول حياتهم .

وعبارة "مكان بلا ماء" ترمز إلى حياة النسك والزهد، بعكس الغنى الذى عاصر لعازر المسكين، بالرفاهية فاستوفى خيراته على الأرض (لو١٦) .

عبارة موضع غير مسلوك ، قد ترمز أيضاً إلى القلب النقى والعقل النقى .

الذى لم تسلك فيه أفكار العدو ، وشهوات العالم . لم تعبر فيه فكرة خاطئة ولا شهوة شريرة . أما الذين يتجاذبون مع الأفكار والشهوات ، فيقول عنهم ماراسحق :

" يكونون كمن هم فى سوق ، يبيعون ويشترون .

أما صاحب القلب النقى ، فيقول للرب : أنا أسبحك من قلب هو

موضع غير مسلوك لا يقبل أية فكرة أو شهوة تعرض عليه .

هي ذى العين لقد أغمضتها عن رؤى الأشياء حتى أن أراك

وكـذا الأذن لقـد أخليتهـا مـن حديث النـاس حتـى أسمعك

وعن هذا المعنى قيل فى النشيد باسلوب رمزى " اختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش٤: ١٢).

عبارة موضع غير مسلوك، قد تعنى أيضاً إنه مخصص للرب.

ولأضرب لذلك مثلاً فـاقول : إذا اشـترى أحد أرضـاً ، وتركهـا بدون أسوار ، قد تدوسها أقدام كثيرة ، ويسلك فيها كثيرون . أما إذا أحاطها بسور ، وجعل لها باباً وأغلقه ، تصير هذه الأرض مصانة ، وتصبح موضعاً غير مسلوك ، ويحترم الناس ملكيته لها .

هكذا يكون قلبك إن كان ملكاً ، لا يصبح أرضاً مداسة من الغير ، ولا يدوسها ذلك الذى هوايته الجـولان فـى الأرض والتمشى فيها" (أع١: ٧) .

هكذا ظهرت لك فى القدس لأرى قوتك ومجدك. لأن رحمتك أفضل من الحياة.

من عطشى إليك ، ذهبت إلى أقداسك ، وظهرت لك . لأن هناك أرى قوتك ومجدك . وأشعر إننى فى حمى إله قوى ممجد .. وفى حمى رحمته ...

الإعتماد على رحمته أفضل من الإعتماد على هذه الحياة التى أحياها .

من أجل هذا تتعلق نفسى بك وأسبحك .

شفتاى تسبحاتك . لذلك أباركك فى حياتى .

باسمك أرفع يدى فتشبع نفسى ..

☩ أرفع يدى فى الصلاة ، مثال الصليب .. والصليب يخيف الشياطين . كما أن الأيدى المرفوعة بعيدة عن الأرض والماديات.

☩ ورفع اليدين طقس من طقوس الصلاة :

يقول المرتل فى المزمور "فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب (مز ١٤٣) . ويقول القديس بولس الرسول "أريد أن الرجال يصلون رافعين أيدى طاهرة " (أف٢: ٨) .

☩وأثناء الحرب مع عماليق ، كان موسى النبى يرفع يديه فى الصلاة ، فينتصر جيش يشوع . ولما ثقلت يداه، قام هارون وحور بدعم يديه لكى يستمر الإنتصار (خر١٧: ١١- ١٣) .

☩ورفع اليدين وهما مفتوحتان، هو اعتراف بالإحتياج، لكى يملأها الله من خيراته . كما أن ذلك دليل على الإتضاع .

☩ ☩ ☩

هناك أشخاص يصلون فى ملل ، أما داود فيقول

باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم.

إنه شبع روحى ، شبع بالرب ، يشعر به داود حالما يرفع يديه فى الصلاة . وهذا دليل على أنه يصلى من عمق قلبه وبكل مشاعره ، وليس بمجرد ألفاظ تخرج من فمه .

يشبه شبعه ليس بمن يشبع من خبز، بل من شحم ودسم. وكان ذلك من أفضل المأكولات التى تشبع . وكان شحم الذبائح فى العهد القديم يقدم على مذبح المحرقة (لا٤: ٨- ١٠) إشارة إلى أنه مقدم لله لنيل رضاه كرائحة سرور للرب (لا١: ٩، ١٣، ١٧) .

وهو يشير إلى الوليمة السمائية .

شفتاى تسبحانك لذلك أباركك فى حياتى

لو أن داود سبّح الرب فى انتصاره ، لكان ذلك أمراً عادياً.. أما أن يسبحه فى الضيقة ، فى الأرض القفرة ، وفى موضع غير مسلوك، وهو هارب من شاول، والموت يطارده ... فهذا يدل على أن داود كان هدفه هو الله وحده. ولم يكن هدفه هو راحته الشخصية ، أو التخلص من التجارب ...

لقد سبّح الله ، لأنه لم يركز مشاعره فى الضيقة ، وإنما فى قوة

الله ومجده. إذ يقول له :

هكذا ظهرت لك فى القدس، لأرى قوتك ومجدك " .

حسن هذا ، أنه فى ضيقته ، يظهر أمام الله ، ليرى قوته التى فيها يتمجد الله أيضاً . وبعد ذلك يقول له "شفتاى تسبحانك.." .

عملى هو أن أسبحك ...

لأنك وهبتنى هذه النعمة ، أن أسبحك ...

وهبتنى هذا القلب الشاكر لك، الذى يشكرك على كل حال، ومن أجل كل حال، وفى كل حال.. أشكرك عندما أنتصر على جليات، وأشكرك وأنا هارب من شاول، وخائف منه، ومطرود ومطارد ومرذول أسبحك فى الحالتين كلتيهما، لأن تسبحتك هى عملى فى الحياة ...

لذلك أباركك فى حياتى .

أباركك طول أيام حياتى .. أى أسبحك طول الحياة ..

فى مزمور آخر يقول "ها باركوا الرب ، يا عبيد الرب ، القائمين فى بيت الرب ، فى ديار إلهنا" (مز١٣٣) . ويقول فى (مز٨٤: ٤) " طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد" ..

أما هنا، فإنه يبارك الرب فى موضع غير مسلوك ، بل يباركه طول حياته ...

ليتنا نفعل مثله ، ونسبح الرب كل حياتنا ، سواء كنا قائمين فى

بيت الرب فى ديـار إلهنـا، أو كنـا فـى متاهـه، فـى مكـان بـلا مـاء، وموضع غير مسلوك .

أذكرك على فراشى

يتابع داود تسبيحه للرب فيقول :

كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك :

كما أذكرك فى النهار ، كذلك أذكرك فى الليل، علـى فراشـى ، أى فى كل وقت . إنه بهذا يعطينا فكرة عن الصلاة الدائمـة ، وعن الصلاة قبل النوم . بحيث أن آخر فكرة تأتينا قبل النـوم، تكـون فـى ذكر الله أيضاً .. كما أقول : يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر .. أقـول أيضاً " كنت أذكرك على فراشى .

أى أنك يارب فى بدء يومى ، وفى نهايته .

أنـت الأول والآخـر ، البدايـة والنهايـة (رؤ٢٢: ١٣) . بـك أبـدأ يومى ، وبك أختمه .. هكذا ، يا ليت كـلاً منـا، حينمـا يصعـد علـى فراشه يفتكر الـلـه . وحينمـا يرقد علـى فراشـه فـى مـرض أو ألـم، يكون فكره فى الله أيضاً . فبهذا يحصل على عزاء .

وحينما تذكر الله على فراشك ، يتقدس فراشك .

إن الذين يصلون صلاة طويلة قبل النوم ، إنما يقدسون فراشهم، وكذلك يقدسون أفكارهم قبل النوم . وبهذا تكـون أحلامهـم مقدسـة .

لأن الذى انغرس فى عقلهم الباطن قبل نومهم ، كان هو الله نفسه وما يتعلق به .

أذكرك على فراشى ، تعني أيضاً فى وقت راحتى .

فوقت راحتى لا يُعطى للجسد فقط ، بل للروح أيضاً ، إذ تجد راحتها فيك. حينما أتأمل فيك يا رب ، وحينما أذكرك على فراشى، أجد فيك راحتى. أجد راحة لقلبى ، وراحة لفكرى ، وراحة لروحى... ليس فقط فى الليل قبل النوم ، وإنما أيضاً :

فى أوقات الأسحار كنت أرتل لك.

أى وقت الفجر .. يقوم ليرتل للرب .

إنه يقدم لنا مثالاً ، كيف تتحول الحياة كلها إلى صلاة .. فعلى فراشه فى الليل يذكر الله . وفى نصف الليل ينهض ليشكره على أحكام عدله . وتسبق عيناه وقت السحر ليتلو فى جميع أقواله (مز ١١٩) . وأيضاً فى أوقات الأسحار يرتل له . ومع كل ذلك يقول له "يا الله أنت إلهى، إليك أبكر، عطشت نفسى إليك" ...

هكذا كان الآباء يقطعون الليل بالصلاة ...

فلا يمر الليل بطوله ، وهو فى غفوة أو نعاس بعيداً عن مناجاة الله .. ولهذا نرى أن كنيستنا تقسم صلاة نصف الليل إلى ثلاث هجعات. أى ينام جزءاً من الليل، ثم يصحو ليصلى، ثم ينام

ويصحو ليصلي، وهكذا . وليس هذا النظام للرهبان وحدهم، وإنما للعلمانيين أيضاً . وداود لم يكن راهباً ، بل كان متزوجاً وله أسرة كبيرة . **وصلوات النهار أيضاً بالمثل .**

رتبتها الكنيسة بحيث لا تمر ثلاث ساعات على الإنسان، إلا ويرفع قلبه بالصلاة . من صلوات باكر إلى الثالثة ، فالسادسة، فالتاسعة، فالغروب .. وهكذا كان داود الذى قال للرب "سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك" (مز١١٩: ١٦٤). كل ذلك من محبته لله، إذ يقول له "عطشت نفسى إليك" . وأيضاً عرفاناً بجميل الله ، الذى كان دائماً يعينه ويحميه . فإذ يسبح الله ، يقول له :

لأنك صرت لى عوناً ، وبظل جناحيك أبتهج

عجيب داود هذا ، فى مشاعره نحو الله. يتغنى بعون الله له، ويبتهج بظل جناحيه، بينما هو مطارد من شاول،ومهدد بالموت، فى برية قفرة! لو كان واحد منا فى مثل ظروفه لاعتبر حالته تخلياً من الله عنه وليس عوناً له.. أما داود النبى، فهو عينة مرتفعة وسامية.

إنه يذكر إحسانات الله ، حتى فى وسط متاعبه .

وكأنه يقول : أنا يارب – مهما يحدث لى – لست أنسي عونك لى، كيف اخترتنى من بين اخوتى ، وأنا أصغرهم ، ومسحتنى ملكاً

بيد نبيك صموئيل ، ورضيت أن روحك القدوس يحل على (١صم١٦) .. وكنت لى عوناً ، حينما هجم أسد ودب على شاه من غنمي، وأعطيتنى القوة لكى أنتصر عليهما وأنقذ الشاه منهما . وكنت لى عوناً في وقوفى ضد جليات الجبار ، ومنحتنى انتصاراً مذهلاً عليه (١صم١٧) . وكنت لى عوناً ، حينما حققت لى نصراً على مائتين من الأعداء دفعت به مهر ميكال (١صم ٢٧) .

لذلك أنا بظل جناحيك أبتهج ، ليس فقط من جهة الماضى، بل ابتهج فى ضيقتى الحالية .

حتى فى ضيقتى لم تتركنى . شاول يطاردنى ، وأنا هارب منه. وأنت صرت لى عوناً ، فمكنتنى من الهرب . ولو تخليت عنى يوماً واحداً ، لاستطاع شاول بكل قوته وجنوده أن يقتلنى.. لذلك أنا بظل جناحيك ابتهج .

وهذا التشبيه يذكرنا بالدجاجة التى تظلل على فراخها بجناحيها . كما قال السيد المسيح لأورشليم "كم مرة أردت أن أجمع بنيك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا" (مت٢٣: ٢٧) .. وهكذا الدجاجة تحمى أبناءها بجناحيها . وإذا هجم على فراخها أى عدو ، فإن هذه الفراخ تزداد التصاقاً بجناحى الأم، وبظل جناحيها تبتهج .

ما أكثر استخدام داود النبى لتعبير (تحت جناحيك) أو (ظل جناحيك) .

ففى (مزمور ٥٧: ١) يقول "ارحمنى يا الله ارحمنى. فإنه عليك توكلت نفسى. وبظل جناحيك اعتصم، إلى أن يعبر الإثم" .

وفى مزمور "الساكن فى ستر العلى" يقول : "فى وسط منكبيه يظللك. وتحت جناحيك تعتصم" وفى ترجمة أخرى "وتحت أجنحته تحتمى" (مز ٩٧: ٤) .

يقول أيضاً "ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر فى ظل جناحيك يحتمون" (مز ٣٦: ٧) . وفى مزمور آخر "احفظنى مثل حدقة العين. بظل جناحيك أسترنى" (مز ١٧: ٨) .

إنه تشبيه يستريح له الإبن، الذى يجد حمايته تحت جناحى الأبوة أو الأمومة . فليكن الله أباك . أما أمك فهى الكنيسة .

غير أننا نورد هنا ملاحظة هامة وهى :

صغار الفراخ هى التى تحتمى تحت جناحى أمها ..

فلا تظن نفسك أنك قد كبرت ، وتخرج من تحت الأجنحة التى تحميك . وإنما عليك أن ترجع وتصير مثل الأطفال ، وتقول للرب: تحت جناحيك أعتصم ، إلى أن يعبر الإثم .

ليس فقط تحتمى تحت جناحى الله، وإنما تسبحه فى شكر قائلاً

"بظل جناحيك ابتهج" ...

يتابع داود تسبحته فى ضيقاته فيقول :

التحقت نفسى وراءك ، ويمينك عضدتنى .

التحقت نفسى وراءك ، أى جرت وراءك . تبعتك حيث سرت.. إننى لا أتبع مشيئتى الخاصة، ولا ما أدعيه لنفسى من حكمة . إنما أنا أسعى وراءك ، واتبع مشيئتك وحكمتك الإلهية .

أما عن اعدائى ، فإنك ستتكفل بهم وتريحنى منهم ، وهكذا يقول عنهم داود النبى :

أما الذين طلبوا نفسى للهلاك ...

مادامت يمينك عضدتنى ، فإن الذين طلبوا نفسى ليهلكوها فإنهم "يدخلون فى أسافل الأرض ، ويُدفعون إلى يد السيف، ويكونون انصبة للثعالب " ...

بالإيمان ، هؤلاء لن يقدروا علىّ، لأننى فى يمين الله. وشعرة واحدة من رأسى ، لن تسقط بدون إذنه . (لو٢١: ١٨) ، لأنه "قد نقشنى على كفه" (أش ٤٩: ١٦). لذلك فهؤلاء الذين طلبوا نفسى، سيدخلون إلى أسافل الأرض، إلى الجحيم ، مثل قورح وداثان وابيرام الذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهم (عد١٦: ٣١،٣٢) .

لم يقل داود هذا حقداً عليهم ، إنما باعتباره نبياً قد تنبأ عن

آخرة هؤلاء الأعداء .

قال هذا عن طريق الوحى . كما قال الرب عنه إنه "قال بالروح" (مت٢٢: ٤٣) .. وفعلاً قد هلك كل أعداء داود . ومات فى الحرب الملك شاول الذى كان يضطهده .. (١صم٣١) وعلى الرغم من ذلك بكاه داود ومزق ثيابه عليه، وصام هو والذين معه حتى المساء (٢صم١: ١١، ١٢) ورثاه بمرثية مؤثرة (٢صم١: ١٩- ٢٧) .

ولكن فى صلاتك أنت، ليكن لك معنى آخر .

فعندما تقول "أما الذين يطلبون نفسى للهلاك" ، ضع فى ذهنك أنهم الشياطين ، ولا تفكر فى أحد من البشر، لئلا تطلب الشر لغيرك . والشياطين فعلاً يدخلون فى أسافل الأرض، ويدفعون إلى يد السيف، بمعنى الهلاك الأبدى لهم .

يتابع داود النبى مزموره فيقول :

أما الملك فيفرح بالله
ويفتخر كل من يحلف به

هنا لا ينسى داود أنه قد مُسح ملكاً (١صم١٦) . وفى الرجاء بتحقيق وعد الله، يرى أنه سيفرح بالرب . ولاشك أن الرجاء يجلب

الفرح، كما قال الرسول "فرحين فى الرجاء" (رو١٢: ١٢) .

ولم يقل هنا أنه يفرح بهلاك أعدائه ، إنما يفرح بالله .

وبالنسبة لنا نعتبر أنفسنا شركاء فى ملكوت الله ، وكل من يملك نفسه، هو ملك يفرح بالله، بالمعنى الروحى . وهكذا كل بنى الملكوت، الذين يفتخرون بأنهم مؤمنون بالله " يحلف بإسمه" . وكان القسم بالله فى العهد القديم يميز المؤمنين بالله عن عابدى الآلهة الأخرى .

لأن أفواه المتكلمين بالظلم تسد .

هؤلاء الذين ظلموا داود ، وتكلموا ضده ظلماً ، قد سدّ الله أفواههم . سواء شاول الملك، أو شمعى بن جيرا (٢صم١٦: ٥-٨) .

فإن فتح أحد فاه ضدك بكلمات ظالمة ، لا تحزن. لأن "الرب يحكم للمظلومين " (مز١٤٦: ٧) . وأيضاً لأن "أفواه المتكلمين بالظلم تسدّ . سوف لا يحوجك الله إلى أن تنتقم لنفسك، بل هو الذى سيسد أفواههم . أما الملك فيفرح بالله .


إلى متى
يارب
تنساني

إلى متى يارب تنساني ...

[مز ١٢ (١٣)]

إلى متى يارب تنسانى ، إلى الإنقضاء ؟

حتى متى تحجب وجهك عنى ؟

إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى ، وهذه الأوجاع فى قلبى النهار كله ؟

إلى متى يرتفع عدوى علىّ ؟

أنظر واستجب لى ياربى وإلهى .

أنر عينىّ ، لئلا أنام نوم الوفاة .

لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه .

الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا زللت .

أما أنا فعلى رحمتك توكلت .

يبتهج قلبى بخلاصك . أسبح إسم الرب المحسن إلىّ وارتل لإسم الرب العالى .

هللويا

إنه أحد مزامير صلاة باكر . وهو مزمور أنين وشكوى وعتاب من إنسان فى ضيقة، وقد طال عليه الوقت فى ضيقته .

ولذلك فإن عبارة (إلى متى؟) تكررت أربع مرات فى صلاة هذا المزمور :

قال : إلى متى يارب تنسانى ؟ إلى الإنقضاء . حتى متى تحجب وجهك عنى ؟ إلى متى أردد هذه الأوجاع فى قلبى ، وهذه الأحزان فى نفسى النهار كله ؟ إلى متى يرتفع عدوى علىّ ؟

هذا التكرار لم يكن تذمراً ، إنما لجاجة فى الصلاة .

هو لون من الإلحاح على الرب . فمهما طالت به المدة فى ضيقته ، لا ييأس ، وإنما يرفع قلبه إلى الله متضرعاً وقائلاً : إلى متى ؟ رغبة منه فى أن يتدخل الله لإنقاذه ...

عبارة (إلى متى) تظهر لنا أن أوقات الألم تبدو طويلة .

أى أن الإنسان يشعر بطولها أكثر من أوقات الفرح ... إن ساعة واحدة فى ألم شديد من مرض قاس، تبدو أطول من ساعات أو أيام فى المتعة والبهجة . دائماً لحظات الحزن والوجع والألم ،

وأيام الفرح تبدو قصيرة.. إن يعقوب أبا الآباء خدم من أجل راحيل ١٤ سنة "وكانت فى عينيه كأيـام قليلـة بسبب محبتـه لهـا" (تك٢٩: ٢٠). حقاً إن الوقت يسرع فى الأفراح ويبطئ فى الأحزان.

داود هنا يعاتب الله : لماذا تقف ساكتاً فى ضيقتى ؟ " أسرع وأعنى" [مز ٦٩ (٧٠)] .

حتى متى لا تتدخل ؟ "إلى متى تقف بعيداً فى وقت الضيق؟!" (مز١٠: ١) .. قم أيها الرب ، وليتبدد جميع أعدائك، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس" (مز٦٧(٦٨): ١) حتى متى يضطهدنى شاول الملك كل هذا الإضطهاد، وأنت ترى وتسكت؟! ربما لأن ساعته لم تأتِ بعد . هذا حق ، ولكن أنا قد تعبت ...

هنا وأقول : إن طالت عليك أوقات الألم ، فكّر فى سببها . ربما يكون داخلك !

ربما طالت الأيام بسبب عدم صبرك ، أو عدم إحتمالك ! قد يشعر الإنسان بطول فترة الضيقة، إذا لم يستطع القلب أن يصرفها من الداخل.. إذا كان فى القلب شئ من الضجر أو التذمر) أو عدم الصبر ، أو عدم الإيمان بأن الرب سيخلصه وينجيه . وهكذا يفقد الرجاء أيضاً ، فيتعب .

إن حلّت بك ضيقة ، لا تركز أفكارك فى الضيقة ومتاعبها ، وإنما فى الله الذى سوف ينجيك منها ...

لا تتأمل فى الضيقة : كيف هى ؟ كيف جاءت ؟ إلى متى تستمر . إنما تأمل فى الله المحب الشفوق الذى نجاك قبلاً من ضيقات أخرى ، ونجى كثيرين أيضاً . وترنّم بقول المزمور "إن سرتُ فى وادى ظل الموت، لا أخاف شيئاً ، لأنك أنت معى" [مز ٢٢ (٢٣)] . ورتّل أيضاً عبارات مماثلة فى مزامير أخرى تعطى نفس الرجاء ونفس العزاء . اذكر قول موسى النبى للشعب يوم يئس أمام البحر الأحمر :

قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون" (خر١٤: ١٣، ١٤) .

إنك لو فكرت فى الأحزان المحيطة بك ، سوف تتعب . لذلك اتركها تمر عابرة، دون أن تدخل إلى قلبك وتستقر فيه. انشغل عنها بالتفكير فى شئ آخر . فكّر فى إحسانات الله ، وفى وعوده ، وفى أعمال محبته. وفى كل ضيقة تمر بك ، قل لنفسك هذه العبارات :

مصيرها تنتهى . كلّه للخير . ربنا موجود ...

أما داود فقد تعب ، لأنه فكّر فى مطاردة شاول له ، محاولاً أن يقتله. وقد عبّر داود عن مخاوفه هذه فى عبارة واضحة وردت فى (١صم٢٧: ١) "قال داود فى قلبه : إنى سأهلك يوماً بيد شاول" . أى لا فائدة ! إن هربت منه اليوم، قد لا أهرب غداً ، وسيدركنى..!

التفكير فى الضيقة ، قد يؤدى إلى التفكير فى تطورات لها

أصعب وأصعب ...

ويزداد الأمر خطورة فى نظره ، وقد لا يقف عند حد ، ويتصور مخاوف ربما لا وجود لها . ويصاب بما يسميه القديسون " صغر نفس" . وهنا يفقد الرجاء . وينسى وعود الله، ويفقد الأمل فى تدخله لإنقاذه! وهكذا يدركه الخوف والحزن والقلق .

ولكننا سنرى أن داود لم تصغر نفسه فى الضيقة ، كما سنرى فى هذا المزمور ، الذى هو من أعجب المزامير :

إنه مزمور يبدأ بالأنين والشكوى والصراخ . وينتهى بالشكر والفرح والتهليل والتسبيح .

فيما داود كان يشكو ، كان يرى خلاصه أثناء شكواه . كان يرى الضيقة ، ومعها يرى أيضاً المنقذ ، فى إيمان وفى رجاء . فبينما يبدأ مزمور بعبارة "إلى متى يارب تتسانى؟ إلى الإنقضاء! .. نراه يختم المزمور بقوله :

" الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا سقطت . أما أنا فعلى رحمتك توكلت . يبتهج قلبى بخلاصك . أسبح الرب المحسن إلىّ ، وأرتل لإسم الرب العالى ، الليلويا" .

لم ينتظر ليشكر فى مزمور آخر، إنما شكر مع نفس الشكوى!

وهذا هو أسلوب داود فى كثير من مزاميره التى يشرح فيها متاعبه . يبدؤها بذكر المتاعب ، ولكن يختمها بعمل الله معه . فكل

المتاعب عنده مخلوطة بالرجاء. وفى كل صلواته، يعرض على الله مشاكله، وفى نفس الصلاة يرى الحلول الإلهية. وقد يسكب أمام الله دموعه ويرى يد الله فى حب تمسح هذه الدموع، فيشكر ويسبّح ...

ومع ذلك ، فلا مانع من أن يعاتب الله . والله يقبل ...

وما أكثر ذلك فى مزاميره. فيقول له فى المزمور العاشر "يارب لماذا تقف بعيداً ؟ لماذا تختفى فى أزمنة الضيق فى كبرياء الشرير يحترق المسكين ؟ .. الله ليس بعيداً . ولكن لماذا أشعر أنك قد وقفت بعيداً؟!

ويقول فى (مز ٤٢: ٩) 'أقول لله صخرتى : لماذا نسيتنى؟ لماذا أذهب بعيداً من مضايقة عدوى؟! عيّرنى مضايقىّ بقولهم لى كل يوم أين إلهك" !! إنه كلام مؤثر حقاً أن يعيره أعداؤه بأن الله لا يعمل لأجله، وهو فى خجل من أقوالهم وتعييرهم ...

ويقول فى (مز ٤٤: ٢٤) "لماذا تحجب وجهك، وتنسى مذلتنا وضيقتنا؟ لأن أنفسنا منحنية إلى التراب . كن لنا عوناً ، وأفدنا من أجل رحمتك " .

ويقول فى (مز ٧٤: ١٩) "لا تسلم للوحش نفس يمامتك. قطيع بائسيك لا تنسَ إلى الأبد" أى لا تنسَ هؤلاء البائسين الذين يطلبونك.. لهذا يرد الرب هكذا "من أجل صراخ المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم ... اصنع الخلاص علانية " (مز ١١) .

وهكذا يقول له المرتل فى المزمور "قم يارب. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كله . لا تنسَ صوت أعدائك . وضجيج مقاوميك " (مز٧٤: ٢٢، ٢٣). لا تنس يا رب ما نقاسيه . ضع قضيتنا أمام عينيك .

وعلى الرغم من كل هذا العتاب ، داود يعرف تماماً أن الله لا ينسَ عبيده، وبخاصة المحتاجين إليه .

إنه يقول فى (مز٩: ١٢) "ذكرهم .. لم ينسَ صراخ المساكين". ويقول أيضاً فى نفس المزمور " لأنه لا ينسى المسكين إلى الأبد" (مز٩: ١٨) .

وأشعياء النبى يقول كلاماً معزياً فى هذه النقطة : "قالت صهيون قد تركنى الرب ، وسيدى نسينى! هل تنسى المرأة رضيعها، فلا ترحم إبن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين ، وأنا لا أنساك. هوذا على كفى نقشتك" (أش٤٩: ١٤- ١٦) . ويقول الرب فى الإنجيل :

أليست خمسة عصافير تباع بفلسين ؟ وواحد منها ليس منسياً أمام الله" (لو١٢: ٦) .

ويقول بعدها "لا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة ". ويقول أيضاً "بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعاً محصاة" (لو١٢: ٧).

لماذا إذن يقول داود : "إلى متى يارب تنسانى، إلى الإنقضاء؟ وفى إحدى الترجمات تنسانى كل النسيان؟ ولماذا يقول : إلى متى

تحجب وجهك عنى ؟ **ولكن هل حقاً يحجب الله وجهه عنا ؟**

هناك حقاً فترات من التخلى المؤقت للنعمة .

إما بسبب عقوبة مؤقتة ، أو ليشعر الإنسان بضعفه فلا يقع فى الكبرياء، أو بحكمة معينة من التدبير الإلهى لفائدة الإنسان، أو هو نوع من التخلى الشكلى، وفيه يراقب الله الإنسان وينقذه وقت اللزوم **كالنسر الذى يحمل فراخه على جناحيه ، ويلقيها فى الجو لتتعلم الطيران .**

فإذا تعب واحد منها ، يلحقه بسرعة ويحمله على جناحه .

أو كأب يعلم إبنه العوم ، فيحمله على ذراعيه ويدربه . ثم يخلى ذراعيه عنه ليعوم بنفسه . فإن لحقه خطر، يسرع إليه ويتلقاه مرة أخرى على ذراعيه . أو مثل أم تترك إبنها على الأرض ليتعلم المشى. وإن حملته طول الوقت على كتفها لا تشتد أعصابه ، ويصاب بلين العظام . هكذا الله يدرب أولاده ... ويقول فى سفر أشعياء : "لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك" "حجبت وجهى عنك لحظة، وبإحسان يدىّ أرحمك" (أش٥٤: ٧، ٨) .

وأحياناً يحجب الله وجهه عن إنسان بسبب خطاياه .

وبخاصة الذين يعبدون الله وأيديهم ملطخة بالدماء ، وقلوبهم مليئة بالقسوة ، كالذين قال لهم فى سفر أشعياء "حين تبسطون أيديكم، استر عينى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة . لا أسمع. أيديم

ملآنة دماً" (أش ١: ١٥) .

فإن قال أحد من هؤلاء : إلى متى يارب تنسانى؟ يقول له الرب "هلم نتحاجج" . ابحث ربما أنت الذى بعدت . ولهؤلاء يقول الرب:

"ارجعوا إلىّ ، أرجع إليكم" (ملا ٣: ٧) .

أنا أريد أن أصالحكم ، لم يحدث أننى تركتكم ، بل أنتم الذين تركتمونى . وكنت معكم ، وأنتم لا تشعرون بذلك . وعن هذا قال القديس أوغسطينوس فى اعترافاته "كنت يارب معى . ولكننى من فرط شقوتى لم أكن معك" .

عندما أخطأ آدم ، هرب من الله واختبأ وراء الشجر .

فمن الذى حجب وجهه عن الآخر : آدم أم الله .

آدم هو الذى اختبأ ، ولم يعد يرى الله ، بينما كان الله يسعى إليه! دائماً الإنسان الخاطئ هو الذى يبتعد عن الله .

أتذكر أننى فى أحد أيام سنة ١٩٦٠ كنت أتمشى فى الجبل وقت الغروب، ورأيت الشمس تختفى عند الأفق، فقلت لنفسى "لم يحدث أن الشمس أخفت وجهها عن الأرض. إنما الأرض هى التى أدارت ظهرها للشمس" . هذه العبارة صحيحة جغرافياً، ولكنها تنطبق علينا روحياً . فعندما تصلى بمزمور داود : إلى متى يارب تنسانى؟ إلى متى تحجب وجهك عنى، قل له :

بل أنا يارب الذى أنساك ، وأنا الذى أحجب وجهى!

يعود داود فى شكواه فى هذا المزمور فيقول :

إلى متى أردد هذه المشـورات فى نفسـى، وهذه الأوجاع فى قلبى النهار كله ؟

وفى ترجمة أخرى " إلـى متـى أكوّم هذه الهمـوم فـى نفسـى.." يقول هذا إنسان يكوّم الهموم فى نفسه ، دون أن يطرحها على اللـه! يصـارع مـع الأوجـاع وحده، ولا يطلـب معونتـه من ذلك المحـب القوى الذى يقول على الدوام :

"تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨) .

لذلك فى كل ضيقاتك لا تعتمد على نفسك، ولا تعتمد على الناس، ولا تستمر فى صراعك مع الأوجاع فى قلبك النهار كلـه . بل إلقِ على الرب همك وهو يعولك . سواء كانت متاعبك ضيقات مادية، أو اضطهادات من الناس ، أو شهوات وخطايا ...

يقول داود بعد ذلك فى المزمور :

"إلى متى يرتفع عدوىّ علىّ " .

يقول المصلى هذه العبارة ، سواء عن أعدائه من البشر، أو عن الحروب الروحية التى يسقط فيها . فالعدو الذى يرتفع علىّ هنا هو الشيطان. ولكنه ليس مطلق السلطة علينا .

وإنما يرتفع علينا حينما نسلّمه إرادتنا .

حينما نخضع نحن له ونسلّمه قيادتنا . ولكن اطمئن يـأخى، فالعدو ليس له سلطان عليك . لأنّ الله قد أعطانا السلطان أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو١٠: ١٩) .

يمكن أن يحاربك فكر ردئ ، وتكون لك القدرة على طرده. ولكنك إذا استسلمت له ، فإنه يقوى عليك . وكلما تفسح له مجالاً ، يسيطر . وهنا يرتفع العدو عليك .

عبارة (إلى متى يرتفع عدوى علىّ) ، قد تعنى أيضاً : إلى متى ينتصر الشر على الخير فى العالم؟ إلى متى قايين يقتل هابيل ، وهيرودس يقتل المعمدان؟! وإلى متى يستطيع الشوك أن يخنق الزرع النامى؟!

إن عبارة (إلى متى يرتفع عدوى علىّ) تحمل معنى طيباً ، إذ أننا نعتبره عدواً. لأن الشيطان كثيراً ما يظهر كصديق !!

يظهر كملاك من نور (٢كو١١: ١٤) أو كحكيم يقدم لك نصيحة، أو يقول " لك أعطى ممالك الأرض ومجدها" (مت٤: ٨، ٩) أو يلبس ثياب الحملان وهو ذئب خاطف (مت٧: ١٥) .

لكن مادمت قد عرفت أنه عدو، احترس إذن منه، ولا تفتح له قلبك ولا فكرك . وكما تتضايق من ارتفاع هذا العدو عليك، لا ترتفع أنت أيضاً على أحد. كنت متواضعاً ، وبهذا التواضع يمكنك أن تغلب الشيطان المرتفع .

أيضاً حينما يدرك داود ارتفاع عدوه عليه، يصرخ قائلاً :

أنظر واستجب لى ياربى وإلهى .

أنت الإله ضابط الكل، انظر ماذا يفعله عدوى بى. وانقذنى منه، لأنك أنت هو ربى وإلهى. أنت المعين والحافظ. أنت الذى يحكم للمظلومين (مز١٤٦: ٧). استجب لى إذن ، لأنى فى خطورة .

"أنر عينىّ لئلا أنام نوم الوفاة .

أنر عينى ، فلا أحيا فى الظلمة ، لأن الخطية ظلمة . أعطنى أن أستنير بروحك القدوس، ولا أسلك فى العمى الروحى ، مثل الذين لهم عيون ولكنها لا تبصر (مت١٣: ١٤) . أنر عينى أيها النور الحقيقى ، لكى أبصرك وأبصر الطريق الذى يوصل إليك . وحينما يضغط عدوى علىّ، أنر عينى لأبصر أن الذين معنا أكثر من الذين علينا (٢مل٦: ١٦).

اكشف يارب عن عينى ، فأرى عجائب من شريعتك (مز١١٩). أعطنى الإيمان الذى به أرى ما لا يرى (عب١١: ١) . ولماذا ؟

لئلا أنام نوم الوفاة . لئلا أسقط ولا أقوم . لئلا أموت الموت الروحى. وأجرة الخطية هى موت (رو٦: ٢٣) .

هذه الكآبة التى أنا فيها ، لها مطلب عند الشفقة التى فيك . فأنقذنى من هذا الموت ، موت الخطية ، هذا الخوف من الموت ، هو حجة يستدر بها عطف الله عليه ، وأيضاً :

" لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه " .

إن فخر العدو هو فى اسقاطنا . وكما أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة (لو١٥: ١٧) . كذلك الشيطان يفرح ببار واحد يسقط أكثر من ٩٩ خاطئاً لا يعوزهم السقوط . إنه يفرح بسقوط البار ويقول قد قويت عليه. لذلك يقول داود :

الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا زللت" .

هؤلاء الذين يفرحون بالإثم ، ويشمتون بى . كما قيل له فى سقطته "جعلت أعداء الله يشمتون " (٢صم ١٢: ١٤) .

ما أكثر المزامير التى يشكو فيها داود من شماتة الأعداء :

إنه يقول "يا إلهى عليك توكلت . لا تدعنى أخزى. لا تشمت بى أعدائى " (مز٢٥: ٢) . ويقول أيضاً "حتى متى الخطاة يارب . حتى متى الخطاة يشمتون ؟! (مز٩٤: ٣) . ويقول كذلك "أعظمك يارب لأنك احتضنتنى ولم تشمت بى أعدائى" (مز٣٠: ١) . وبنفس الروح يقول ميخا النبى "لا تشمتى بى يا عدوتى . فإنى إن سقطت أقوم" (مى٧: ٨) .

"أما أنا فعلى رحمتك توكلت . يبتهج قلبى بخلاصك" .

لتكن رحمتك يارب أقوى من شماتتهم . ولتعطنى أنت النجاح فلا يفرحون بفشلى . ولتعطنى التوبة فلا يفرحون بسقطتى . أنا لا

أتكل على مقاومتى للخطية، إنما على رحمتك توكلت . أنت برحمتك تخلصنى ، فيبتهج قلبى بخلاصك .

عجيب هو داود، الذى ينتقل من عبارة (الذين يحزنوننى) إلى الإبتهاج فيقول: اسبح لإسم الرب المحسن إلىّ، وارتل لإسم الرب العالى .

إنه يرتل، لأن الكتاب يقول "أمسرور أحد فليرتل، (يع٥: ١٣). إنه مسرور بالرب، يبتهج بخلاصه . لقد قال "انظر واستجب لى يارب وإلهى" . والرب سمع واستجاب . وأحسّ هو بهذا أثناء صلاته فابتهج وسبّح ... سبحّ الرب المحسن إليه . قبل أن ينال الإحسان ، بل آمن به .

هذه القيثارة المحيطة إشتدت أوتارها مرة أخرى ، فعزفت لحن التسبيح ، وختمته بكلمة الليلويا .

وكأن داود يقول للرب : إن الكلمات التى قلتها فى أول المزمور قد سحبتها الآن : سحبت عبارة تنسانى، وعبارة تحجب وجهك عنى. الآن يبتهج قلبى بخلاصك . إنى أعتذر عما قلته . الآن عدوى لن يقوى علىّ "الفخ انكسر ونحن نجونا" . حقاً ما أجمل قول السيد المسيح :

" لكن حزنكم يتحول إلى فرح " (يو١٦: ٢٠) .

الفهرست





بسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد ، آمين

نقدم إليك أيها القارئ العزيز هذا الكتاب الذى يضم تأملات فى أربعة مزامير من صلاة باكر هى

★طوبى للرجل (مز ١) .
★إلى متى يارب تنسانى (مز ١٣) .
★يا الله أنت إلهى ، إليك أبكر (مز ٦٣) .
★سبحوا الرب أيها الفتيان (مز ١١٢) .

وقد سبق أن قدمنا كتاباً عن المزمور الثالث (يارب لماذا كثر الذين يحزنوننى) وكتاباً آخر عن المزمور السادس (يارب لا تبكتنى بغضبك) .

وإلى اللقاء فى مزامير أخرى .

البابا شنوده الثالث

